۳۱۳

کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب: لطائف و ظرائف
مؤلف ....
جلد (۳۱۳) از کتب (خطی) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانه مجلس شورای ملی
شماره ثبت کتاب ۱۰۲۰۳
۱۲۵۴۳

بازرسی شد

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی
طباطبائی ۳۱۳

من وفيات الاعيان لاحمد بن خلكان

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبي النيسابوري قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم راس المؤلفين في زمانه وامام المصنفين بحكم اقرانه سار ذكره سير المثل وضربت اليه اباط الابل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع الشمس في الغياهب وتواليفه اشهر مواضع وابهر مطالع واكثر راو لها وجامع من ان يستوفيها حد او وصف او يوفيها حقوقها نظم او وصف وذكر له طرفا من النثر واورد له شيئا من نظمه فمن ذلك ما كتبه الى الامير ابي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي

لك في المفاخر معجزات جمة … ابدا لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه … شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعي
وترسل الصابي يزين علوه … خط ابن مقلة ذو المحل الارفع
كالنور او كالسحر او كالبدر او … كالوشي في برد عليه موشع
شكرا فكم لك من صنيع كالغنى … وافى الكريم بعيد فقر مدقع
واذا تفتق نور شعرك ناضرا … فالحسن بين مرصع ومصرع
ارجلت فرسان الكلام ورضت … افراس البديع وانت امجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدايعا … تزري باثار البديع الممرع

وله من التواليف يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر وهو اكبر كتبه واحسنها واجمعها وفيها يقول ابو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر الاسكندري المشهور وسياتي ذكره ان شا الله

ابيات اشعار اليتيمة … ابكار افكار القديمة
ماتوا وعاشت بعدهم … فلذاك سميت اليتيمة

وله ايضا كتاب فقه اللغة وسحر البلاغة وسر البراعة ومن غاب عنه المطرب ومونس الوحيد وشي كثير جمع فيها اشعار الناس ورسايلهم واخبارهم واحوالهم وفيها دلالة على كثرة اطلاعه وله اشعار كثيرة وكانت ولادته سنة خمسين وثلثماية ٣٥٠ وتوفي سنة تسع وعشرين واربعماية ٤٢٩ رحمه الله تعالى والثعالبي بفتح الثاء المثلثة والعين المهملة وبعد الالف لام مكسورة وبعدها با موحدة هذه النسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لانه كان فراء

والله اعلم

[illegible]

كتاب

الظرائف واللطائف في الأضداد تأليف

أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسمعيل الثعالبي

رحمه الله برحمته وغفرانه

٤

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ رب أعن

حمداً لحامد الخالق الخلق باسط الرزق وصلوة على الصادع بالحق محمد رسوله
الداعي الى الصدق وشكراً لشكر المعدل الارض ونحو اجتهد مولانا الامير السيد
الملك المؤيد العادل العالم ابي النصر ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه
مولى أمير المؤمنين أدام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه فقد بسط بساط
العدل وأطال عنان الاحسان ومهد مهاد الأمن ونشر شعاع اليمن
وأقام قناة الدين ومد رواق الملك وما فوق من الأفق ولأبي طالب المأموني

وكاد يحكيه صوب المزن منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

نعم وجدد درس العلم بعد أن نسجت عليها العنكبوت وأحيا
أنواع الآداب في قد كادت تموت فمن سجاياه حب المحاسن أحسنه
والغارس غرس يده قد بعض على استجلاب الطبع من دررها واستثارة
ما يمكن من غررها حرص النفس على تنسيم الهواء وتطلبه طلب الظمآن الماء
للماء ذلك لامتزاج الأدب بطبعه كامتزاج الروح بأصله والتحام الكرم
بخلقه وكونه من السؤدد في سواد عينيه وسويداء قلبه فعين الله تعالى

عليه من كل طرف عاين وقصد زمان وأدام الله جمال العالم بطول عمره
وثبات ملكه ونفاذ أمره ولا أخلاه من علو الدرجة وإدراك الغاية وإعزاز
الأولياء وإذلال الأعداء ولقاه النجح بين مطارح آرائه ومصارف
أقلامه والصنع في مذاهبه وقدومه وأعلامه للمتنبي

وهذا دعاء لو سكت كفيته لأني سألت الله فيه وقد فعل

ثم إن هذا كتاب دلني ما استسعدت به من الخدمة واستشعرته من
شكر النعمة على ابتداع وضعه واختراع ما لم أسبق إلى مثله وألفته لاسمه العالي
ثبته الله بأوج المعالي في مدح كل شيء وذمه وتزيينه وتهجينه وسياقة
أحسن ما جاء في مدحه وفي ضده وترجمته بالظرائف واللطائف في
الأضداد وهذه ثبت أبوابه ۝

مدح الدنيا، ذمها، مدح الدهر، ذمه، مدح السلطان، ذمه،
مدح عمل السلطان، ذمه، مدح الوزارة، ذمها، مدح العقل، ذمه،
مدح العلم والأدب، ذمهما، مدح الخط والكتابة، ذمهما، مدح الشعر، ذمه،
مدح الكتب والدفاتر، ذمهما، مدح التجارة، ذمها، مدح الضياع، ذمها،
مدح الدور والأبنية، ذمهما، مدح الحمام، ذمه، مدح المال، ذمه،

١٦ مدح الغنى، ذمه، ١٧ مدح الفقر، ذمه، ١٨ مدح القناعة، ذمها
١٩ مدح القلة، ذمها، ٢٠ مدح اللسان، ذمه، ٢١ مدح الصمت، ذمه
٢٢ مدح الصبر، ذمه، ٢٣ مدح الحلم، ذمه، ٢٤ مدح المشورة، ذمها
٢٥ مدح الرأي، ذمه، ٢٦ مدح الوحدة والعزلة، ذمها، ٢٧ مدح الشجاعة، ذمها
٢٨ مدح الجود، ذمه، ٢٩ مدح البخل، ذمه، ٣٠ مدح الحسد، ذمه
٣١ مدح الحياء، ذمه، ٣٢ مدح الإخوان والأصدقاء، ذمهما، ٣٣ مدح المزاح، ذمه
٣٤ مدح العتاب، ذمه، ٣٥ مدح الحجاب، ذمه، ٣٦ مدح الزيارة، ذمها
٣٧ مدح النساء، ذمهن، ٣٨ مدح التزوج، ذمه، ٣٩ مدح الجواري، ذمهن
٤٠ مدح العيال، ذمه، ٤١ مدح الولد، ذمه، ٤٢ مدح البنات، ذمهن
٤٣ مدح الغلمان، ذمهم، ٤٤ مدح الخط والعذار، ذمهما، ٤٥ مدح احميك، ذمهم
٤٦ مدح الخصيان، ذمهم، ٤٧ مدح النبيذ، ذمه، ٤٨ مدح الصبوح، ذمه
٤٩ مدح السماع، ذمه، ٥٠ مدح الزجاج، ذمه، ٥١ مدح الذهب، ذمه
٥٢ مدح الشطرنج، ذمه، ٥٣ مدح النرجس، ذمه، ٥٤ مدح الورد، ذمه
٥٥ مدح الشتاء، ذمه، ٥٦ مدح الصيف، ذمه، ٥٧ مدح المطر، ذمه
٥٨ مدح القمر، ذمه، ٥٩ مدح السفر، ذمه، ٦٠ مدح الغربة، ذمها

٦١ مدح الفراق، ذمه، ٦٢ مدح البكاء، ذمه، ٦٣ مدح الرؤيا، ذمها
٦٤ مدح الهدية، ذمها، ٦٥ مدح الدين، ذمه، ٦٦ مدح الشباب، ذمه
٦٧ مدح الشيب، ذمه، ٦٨ مدح الخضاب، ذمه، ٦٩ مدح المرض، ذمه
٧٠ مدح الموت، ذمه، ٧١ مدح القواد، ذمه، ٧٢ مدح الغوغاء والغرباء، ذمهم
٧٣ مدح العمى، ذمه، ٧٤ مدح الجبن، ذمه، ٧٥ مدح التعليم، ذمه
٧٦ مدح الرقيب، ذمه، ٧٧ مدح [illegible]، ذمها، ٧٨ مدح اليمين، ذمها
٧٩ مدح السلطان، ذمه، فجميع ما فيه مائة وثمانية وخمسون بابا في
الأضداد وهذا حين افتتاحها وشيا قد مودعاتها والله الموفق
للصواب في استغراق الأبواب.

مدح الدنيا

في الخبر عن النبي عليه السلام، الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها
بورك له فيها، ذكر علي بن أبي طالب الدنيا، فقال هي دار صدق
لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد
أولياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه اكتسبوا
فيها الرحمة وربحوا الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها
ونعت نفسها فشوقت بسرورها الفاني الى السرور الباقي وحذرت

ببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام لها المعتل بتغريرها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى هذا أحسن ما روي في مدح الدنيا ثم جاء ابن المعتز فبنى عليه وأحسن كل الإحسان حيث قال في رسالة إلى بعض إخوانه أردت أن أجيبك في وصف الدنيا بما يشبه ذمك لها وأرى بعد عذرها ثم أردت أن لا أزيدها تحريضا على مكروهها وتنفيرا عن محابينا فانتهيت إلى تقريظها ومدحها ورغبت أن ترجع إلى العتبى وتجد لبعض أخلاقها وهذا ما أستدرك به من ذلك فأقول الدنيا دار التأديب والتعريف التي توصل بمكروهها إلى محبوب الآخرة ومضمار الأعمال السابقة بأصحابها إلى الجنان ودرجة الفوز التي يرقى عليها المنقولون إلى دار الخلد وهي الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل وميدان العمل وقاصمة الجبابرة وملحقة الرغم بمعاطس المتكبرين وكاسية التراب أبدان المختالين وصارعة المغترين ومفرقة أموال الباخلين وقاتلة القاتلين والعادلة بالموت على العالمين ومهبط القرآن المبين ومسجد العابدين وأم النبيين صلوات الله عليهم أجمعين وناصرة المؤمنين ومبيرة الكافرين والحسنات فيها مضاعفة والسيئات لأمها

مجزوة ومع عذرها أن الله تعالى قد ضمنها أرزاق أهلها وأقسم في كتابه بما فيها ورب طيبة من نعيمها قد حمد الله عليها فتلقتها أيدي الكتبة ووجبت بها الجنة وما أدنى زينتها متوجها إلى معروفها وكان جوادا على الإفراط فكم نابه من نوائبها وتجربة لحوادثها مرنت الفهم ونبهت الفطنة وأذكت القريحة وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الأجر وقيل لعلي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين أما ترى ما أحرص الناس على الدنيا فقال هم أبناؤها فأخذ هذا المعنى محمد بن وهب الحميري

فقال

ملك محمد بن صالح الحسني الكتاني سلخ شوال ١٣٣٣
٩ ذي القعدة ١٣٣٣

نراع لذكر الموت ساعة ذكره ... ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
وقد ذمت الدنيا إلى صروفها ... وخاطبني أعجابها وهو معذب
ولكننا منها خلقنا لغيرها ... وما كنت منه فهو شيء محبب

وقال أبو العتاهية

ما أحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع الله من نالها

وقال محمود الوراق

هي الدنيا وزخرفها ولكن ما مصايرها

لئن عرت منابرها لقد وعظت معابرها
وإن غثت موائدها لقد نصحت مصائدها

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد

تذم دنيا إن تأملتها وجدت منها ثمن الجنة

وكان عبد الملك بن صالح يقول ما اجتمعت الدنيا بأظرف من النبيذ فنظمه أبو محمد بن مغازي فقال

ألا إن دنياك معشوقة تعاورها كل عيش لذيذ
ولكنها قط ما اجتمعت من الطيبات بمثل النبيذ

وقلت في كتاب المبهج الدنيا معشوقة ريقها الراح وأنشدت لابن العميد ما كان قاله فعليه لعنة الله

خذ من الدنيا بحظ قبل أن ترحل عنها
فهي دار لست تدري بعدها أين منها

فأخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أن ذلك من كلام الجوين قبض الله أفواههم ومعناه أن الجنة جنة طيبة ولا كالدنيا

ذم الدنيا

قال بعض الحكماء الدنيا غدارة غرارة لن بقيت لها لم تترك وقال آخر واجد الدنيا سكران وفاقدها حيران وقال آخر أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ومن حسراتها

إذا أدبرت وقال آخر من نال الدنيا مات شغفا بها ومن لم ينلها مات حزنا عليها وقال آخر إن الدنيا ليست تعطيك لتسرك ولكن لتفجعك وقال آخر الدنيا أشبه شيء بالأحلام وظل الغمام وقال الحسن حلالها حساب وحرامها عذاب وقال يحيى بن معاذ الدنيا خمر الشيطان من شرب منها سكر فلم يفق إلا في عسكر الموتى نادما خاسرا وقال عبادة الدنيا قحبة يوما عند عطار ويوما عند بيطار وقال ابن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام وقال أيضا خير الدنيا حسرة وشرها ندم وقال مصائب الدنيا أكثر من نبات الأرض وكان المأمون يقول لو نطقت الدنيا لما وصفت نفسها بأحسن من قول أبي نواس

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقد ألم بمعناه ابن بسام حيث قال

أف من الدنيا وأيامها فإنها للحزن مخلوقة
همومها لا تنقضي ساعة عن ملك فيها ولا سوقة

يا عجبا منها ومن شأنها عدوة للناس معشوقة

ومن الأمثال السائرة قول مسلم بن الوليد

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

وقول ابن الرومي

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها لأفسح مما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقول أبي الطيب المتنبي

أبدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فلا أدري لذا أنث اسمها الناس أم لا

وقول الآخر أف للدنيا الدنية خبثت فعلا ونية
والعيش كله هم وعقباه منية

وأنشدت لأبي الفتح الكاتب الساوي

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي

ولمؤلف الكتاب من قصيدة

تنشل عن الدنيا فلا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها إما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب شهي إذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يعجب الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

ومن كلامه في كتاب المبهج نسيم الدنيا يقصر عن سمومها وأغذيتها لا تفي بسمومها ساكن الدنيا راحل وأنفاسه فهي رواحل وأيامه مراحل الدنيا عروس تغتال الأخدان وتختان الأختان أم الدنيا أم رؤوم تحت سترها غمة إقبال الدنيا كإلمامة ضيف وسحابة صيف أو زيارة طيف هبات الدنيا مكدرة بأحداثها وقصورها منغصة بأجداثها صاحب الدنيا بين العلل والقلب والصحة والأوصاب المرء من دنياه بين أيام ممدودة وعوار مردودة

ذم الدهر وشكره

قال بعض الحكماء الدهر أنصح المؤدبين وقال آخر قد وعظنا الدهر

لو اتعضنا ونعمنا لو انتجعنا **قال الشاعر**

عمري لقد نصح الزمان وإنه فمن العجائب ناصح لا يشفق **وقال الغزي**

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار **وقال بشار**

أن دهرا لقد ضم بسلمى لزمان يهم بالإحسان **وقال البحتري**

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها وشيكا وإلا ضيقة وانفراجها

وقال الأخطل فإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال آخر يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

وأنشدني أبو العباس المأموني لبعضهم

يا شاكي الدهر جهلا في تصرفه لا تشك دهرك إن الدهر مأمور

ما ذنب دهرك والأقدار غالبة وكل أمر إذا وافاك مسطور

فاصبر على حدثان الدهر وارض به ما دام في الدهر مهموم ومسرور

وأنشدني أبو القسم بن حبيب المذكر

رضى بالدهر كيف جرى قصارا ففي أيامه جمع وعيد

ولم يخشن عليك قضيب عود من الأيام إلا لان عود

وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي الفتح بن العميد

أين لي من يفي بشكر الليالي إذ أطافت حبالها بحبالي

لم يكن لي على الزمان اقتراح غير ما شئته فجاد بها لي

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان للمهلبي الوزير

رق الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرقي فأنالني ما أرتجي وأفاتني ما أتقي

فلأصفحن عما جناه من الذنوب السبق حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

ذم الدهر وشكايته قال الحكماء والبلغاء أف للدهر ما أكدر

صافيه وأخيب راجيه وأغدر أيامه ولياليه من له بدار بغوائل الزمان

يسار الدهر في الأخذ أسرع من يمينه في البذل لا يعطي بيده إلا ارتجع

بتلك الدهر يؤمن نافعه ويحذر غدره ويرضع ثديه ويجرح يده الدهر

لغدر فيثر ويسوء من حيث يسر هو الدهر لا تهنئ فيه المواهب

حتى تتخللها المصائب ولا تصفو فيه المشارب حتى تكدرها الشوائب

فصل لابن المعتز هذا زمان متلون الأخلاق متداعي البنيان موقظ

للشر منيم للخير مطلق أعنة الظلم حابس روح العدل قريب الأخذ من

الإعطاء والكآبة من البهجة والمطلوب من البشر مر الثمر بعيد المجتنى

قابض على النفوس بكف منيخ على الأجسام بحربه لا ينطق إلا بالشكوى

ولا يكتب إلا عن غصص وبلوى **فصل للصاحب** الزمان
جديل الظفر لئيم الظفر حلو الموارد مر المصادر وأثره عند
المرء كأثر السيف في الضريبة والليث في الفريسة **فصل**
لشمس المعالي الدهر شر كله مفصله ومجمله إن أضحك ساعة
أبكى سنة وإن أتى بسيئة جعلها سنة وإن أراد حسنة غيرها
بيتة أراد أن لا يعمي عينا بصيرة ومن ابتغى منه الرعاية ابتغى من الغول
الهداية ومن أحسن ما قيل في ذم الدهر وشكايته على كثرته قول ابن
المعتز وهو إمام

ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا فذما له لكن لخالقه الشكرا
لقد حبب الموت البقا الذي أرى فيا حسدا مني لمن يسكن القبرا

وقوله

يا دهر ويحك قد أكثرت فجعاتي شغلت أيام عمري بالمصيبات
ملأت ألحاظ عيني كلها حزنا فأين لهوي وأحبابي ولذاتي
حمدا لموتي وذما للزمان فما أما في هذه الدنيا مسراتي
لوت يدي أملي عن كل مطلب وأغلقت بابها من دون حاجاتي

وقوله أيضا يا صاحبي إن الزمان كما علمت وما علمته
يفني الذي جمعته بيدي ويحصد ما زرعته
ويخون من صافيته عمدا ويعشق من مقته
وحملته فحمدته وذممته لما عرفته
ولطالما عاتبته حتى على خير تركته

محمد بن صادق الحسيني الطهراني
غرة شهر شعبان المعظم ٨ سنة ١٣٠

ومن كلام ابن الرومي في هذا الباب قوله

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا وتعلو فوقه جيفه **وقوله**
رأيت الدهر يرفع كل وغد ويخفض من له شيم شريفه
كمثل البحر يغرق فيه حي ولا ينفك تطفو فيه جيفه
وكالميزان يخفض كل واف ويرفع كل ذي زنة خفيفه

وأنشدني الأستاذ أبو بكر الخوارزمي لغيره

الدهر يستخدم من يخدم حتى يذوق الهون من يكرم
كالأرض لا تطعم من رزقها إلا الذي تطعم من يطعم

وأنشدني أيضا يا محنة الدهر كفي إن لم تكفي فخفي

ما آن أن ترحمينا من طول هذا التشكي ترى ما نال الثريا وعالم متخفي
ذهبت أطلب بختي فقيل لي قد توفي **وأنشد الصولي لعبد الله بن**
موسى الهادي تقاضاك دهرك ما أسلفا وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فإن الزمان جدير بتشتيت ما ألفا
ولما أك قليل الهموم كثير الهوى ناعما مترفا
ألح عليك بروعاته وأقبل يرميك مستهدفا **وأنشد أبو جعفر الموسوي**
أي خير يرتجي بنو الدهر في الدهر وما زال قاتلا لبنيه
من يعمر يفجع بفقد الأخلاء ومن مات فالمصيبة فيه
وأنشد المرزباني لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر
ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

ولمؤلف الكتاب

أقول والقلب مكدود بأحزان والصبر أبعد ما بين أجفاني
حتى متى أنا ذي العض أغلي غيظا على من قد رام أزماني
في كل يوم أرى من نوائبه كأنني أصبح والدهر أشناني

ولـه أيضـا

إلى كم تبرمي بالحياة أتلوى تلوي الحيات
تحت عبء من الزمان ثقيل وخطوب تقصف مني قناتي

مدح السلطان ٣ قد قرن الله تعالى طاعة النبي صلى الله عليه بطاعة السلطان حيث قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وقال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في أرضه وقال عثمان بن عفان ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن وكان عبد الله بن مسعود يقول لابد للناس من وزعة وقيل للحسن البصري ما تقول في السلطان قال ما عسيت أن أقول في قوم يلون من أمورنا خمسة الجمعة والجماعة والفيء والثغور والحدود والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا ولما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون وكان الفضيل بن عياض يقول لو كانت لي دعوة مستجابة لصيرتها للسلطان قيل ولم تقدمه على نفسك فقال إن دعوتي لنفسي لا تنفع غيري وإذا كانت له انتعش العباد لعدله وإصلاحه وقال الجاحظ

طاعته م

لولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضاً كما أنه لولا الراعي
لأتت السباع على الماشية. ومن الأمثال السائرة على وجه
الدهر جاور ملكاً أو بحراً وذلك لكثرة منافعهما ومرافقهما ومصالحهما
للناس فالبحر على ما فيه من الخطر يغني ويقني من ركبه ومجاوره
وكذلك الملك يحسن آثار عدله وفضله على رعاياه وأصحابه
وكان ابن المقفع يقول أحق من لا يستخف بحقهم الملوك والعلماء
والإخوان فإن من استخف بالملوك ذهبت دنياه ومن استخف
بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالإخوان ذهبت مروته. وفي
الفصول القصار لابن المعتز فساد الرعية بلا سلطان كفساد
الجسم بلا روح. ووصف ابن المقفع في يتيمته السلطان وما
للناس فيه من كثرة المنافع وتكميل المصالح فأحسن كل الإحسان
وشبه ما يصل إلى أكثر الناس من عدله وفضله مع ما يمس بعضهم
من ثقله بالغيث الذي يغيث البلاد وينعش العباد ويفعم
الأودية ويصلح الماشية وقد يتأذى به السفر ويتداعى له
البنيان وتكون فيه الصواعق وبالرياح التي هي روح النفوس

ولقاح الثمار وبها تسير سحائب الجو وسفائن البحر وقد يضر بكثير
من الناس ويتعدى إلى أموالهم وأنفسهم وبالشتاء والصيف اللذين بتعاقبهما
صلاح الحرث والنسل وحياة الحيوان والنبات وقد يكون الضرر والأذى في
البرد إذا لذع والحر إذا لفح وبالليل إذ جعله الله سكناً ولباساً وقد
تعدو فيه هوام الأرض وسباعها ويستوحش به الوحيد وذو العلة
والمقيم في القفرة وبالنهار الذي جعله الله ضياءً ونشوراً وقد
تصبح فيه الغارات والحروب ويكون فيه مظان النصب واللغوب ولكن ما يصل
إلى الآحاد والشواذ من مكروه أمور العامة النفع مزيلاً لها عن طريق الحمد
وكذلك المضار إذا اتفق أن تتضمن نفعاً القليل من الناس مع لحاقها
بالكثير لم تزل عن طريق الذم. وفي بعض كتب العجم أن الملك العادل الفاضل
كالشمس في بروج الشتاء والقمر في الخريف والدخان في جميع الأزمنة
وهو في الأصحاب كالرأس في الجسد وللرعية كالروح في البدن وفي الأولياء
كماء العسل وفي الحرب كالحريق المشتعل والفيل المغتلم وفي الكرم
كالمطر الجود. وعندنا القدرة كالأم البرة. وكان يقال مثل الإسلام
والسلطان والرعية كالفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد فالفسطاط

الإسلام والعمود السلطان والأطناب الأعوان والأوتاد الرعية لا
يقوم بعض هذه إلا ببعض وقال ابن المعتز الملك بالدين يبقى
والدين بالملك يقوى

ذم السلطان

قال بعض الحكماء إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ
الأسد ۝ ومن الأمثال السائرة الملك عقيم أي لا أرحام بينه وبين
أحد ۝ ومنها قولهم الملك استأثر أي أن الملك يريد كل شيء حسن
لنفسه ويستأثر به على رعاياه وأصحابه ۝ وكان المأمون يقول إن
فينا معشر الملوك محبة وحدة واستبدادا ۝ وسمعت الحسن بن عبد
العزيز يقول سمعت أبي يقول سمعت الأمير أبا علي الصغاني يقول من
والانا أخذنا ماله ومن عادانا أخذنا رأسه ۝ وكان يقال أسرع الأشياء
تقلبا قلوب الملوك ۝ وكان يقال إذا تغير السلطان تغير الزمان
وكان يقال سكر السلطان أشد من سكر الشراب ۝ وقال بعض
الحكماء اعتزل السلطان بجهدك فإن من خدمه بحقه وشرطه يحول بينه
وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يوف خدمته حقها خسر الدنيا
والآخرة ۝ وكان يقال ثلاثة لا أمان لها البحر والزمان والسلطان

وفي كتاب كليلة ودمنة من شر السلطان أنه يرضى عمن استوجب السخط
ويسخط على من استوجب الرضى من غير سبب معلوم ۝ ولذلك قالت العلماء
خاطر من لجج البحر وأشد منه مخاطرة خادم السلطان وفيه
أيضا مثل السلطان في قلة وفائه لمن صحبه وسخاء نفسه عمن فقد منه
مثل البغي في استغنائها بالأحدث فالأحدث ونسيانها الأول
فالأول ۝ وكان حذيفة بن اليمان يقول إياكم ومواقف الفتن يعني
أبواب السلاطين ۝ ولقي عيسى بن موسى شريكا فقال له ما لك لا
تأتينا قال ما أصنع ببابك إن أدنيتني فتنتني وإن أقصيتني حزنتني
وكان الضحاك بن مزاحم يقول إني لأسهر عامة ليلي متفكرا ألتمس كلمة أرضي
بها سلطاني ولا أسخط ربي فلا أجد ۝ وكان يقال ثلاثة لا ينبغي
للعاقل أن يغتر بهن الصحة والمال والمنزلة من السلطان ۝ وكان
الفضل بن مروان يقول ما رأيت أقرب رضى من سخط ولا أسرع ما بين
قرب وبعد من الملوك ۝ وقال بعض البلغاء الملوك إن خدمتهم
ملوك وإن تركتهم أذلوك

مدح عمل السلطان وخدمته

كان معوية يقول نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه

أتضع ٭ وعوتب بعض العلماء على خطبته عمل السلطان فقال لقد
خطبه الصديق بن أحد ابنى الذبيح بن الخليل عليهم السلم من ملك
مصر فقال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ٭ وفي كتاب كليله
ودمنه مثل السلطان في اقباله على الأقرب فالأقرب دون الأفضل فالأفضل
كالكرم الذي لا يتعلق بأكرم الشجر بل بأقربها منه ٭ ومن أمثال هذا الباب
باجتذ الإماره ولو على الحجاره ٭ ومن أمثال العجم من تبع الأسد لم
يعدم لذيذ الصيد ٭ ومن أمثال أهل بغداد غبار العمل خير من
زعفران العطله ٭ وكان يونس النحوي يقول الولاية وكل مدح والعزل
وكل ذم والشيب وكل عيب ٭ وكان يقال أربعة لا يستحيا من
خدمتهم السلطان والولد والضيف والدابه ٭ وكان أحمد بن زايد
يقول أربع لا يعيبها إلا عمل السلطان اتصال الدعوات واتخاذ القيان
والأبنية الواسعة العالية والتمتع بالجواري الثمينة ٭ وكان يقال
من خدم السلطان خدمه الإخوان والجيران ٭ وكان بعض المشيخة
يقول أقل ما في خدمة السلطان أنك تأتيك هدايا الجيران ٭ وكان
يقال أربعة لا يستقل قليلها السلطان والنار والمرض والعداوة

كان جعفر بن يحيى

وسمعت أبا نصر بن يزيد يقول من خدم الملوك فهو خادم من جهة ومالك من
أخرى ومن خدم السوقة فهو خادم من الجهات كلها **ذم عمل السلطان**
وخدمته من أمثال هذا الباب قولهم صاحب السلطان كراكب الأسد
يهابه الناس وهو لمركبه أهيب ٭ وقولهم من تحسى مرق السلطان احترقت
شفتاه ولو بعد حين ٭ وقول العامة من أكل من مال السلطان زبيبة
أداها تمرة ٭ وفي كتاب كليلة ودمنة مثل السلطان كالجبل الصعب
الذي فيه كل ثمرة طيبة وكل سبع حطوم فالارتقاء إليه شديد والمقام
فيه أشد ٭ وكان إبراهيم بن العباس يقول مثل أصحاب السلطان كقوم
رقوا جبلا ثم وقعوا منه فكان أبعدهم في المرقى أقربهم من التلف
وقال بعض الحكماء ليكن السلطان عندك مثل النار لا تدنو منها إلا عند الحاجة
وإن اقتبست منها فعلى حذر شديد ٭ وكان يقال أدوم التعب خدمة السلطان
وقال بعضهم من أراد العز بالسلطان لم ينله حتى يذل ٭ ومن فصول
ابن المعتز أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الأشياء إلى النار
أسرعها احتراقا ٭ ومنها من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل
الآخرة ٭ ومنها من صحب السلطان فليصبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة

بحره ومنها الا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الامور عليه فان البحر
لا يكاد يسلم راكبه في حال سكونه فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب
امواجه ومنها الا يدرك الغني بالسلطان الا نفس خائفة وجسم
تعب ودين منثلم

وقال ابو الفتح البستي

يا من يرى خدمة السلطان عدته ما ارث كدك الا الذل والندم
دع الملوك فخير من وجودك ما ترجوه عندهم الحرمان والعدم
اني ارى صاحب السلطان في ظلم ما مثلهن اذا اعتاد الفتى الظلم
فجسمه تعب والنفس خائفة وعرضه عرضة والدين منثلم
هذا اذا استوسقت ايام دولته والصيد الاد ان زلت به القدم

وقال ايضا

صاحب السلطان لا بد له من غموم تعتريه وغمم — ذم قرب
والذي يركب بحرا سيرى قحم الاهوال من بعد قحم

وقال الصاحب

اذا ادناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب — ذم قرب
فما السلطان الا البحر عظما وقرب البحر محذور العواقب

وكان يقال الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام وقال بعض الزهاد
تباعد من باب السلطان ولا تأمن خدع الشيطان وكان يقال العزل
طلاق الرجال **وقال ابن المعتز**

شكر الولاية طيب وخماره ذل شديد كم تائه بولاية وبعزله ركض البريد

وكان المهلبي يقول الشرف اعلى واسنى والعطلة اروح واصلح وكان
ابن ابي البغل يقول لا تقرن ما للمتصرف لانه يغدو غنيا ويروح فقيرا
فصل للصابي في التنبيه بالعزل لمن يولى خفة الظلم التقضي من العمل
الذي هو مع هذه العواقب الوخيمة والرسم الذميمة زاله الحبايل المشوبة
والاشراك المنصوبة

مدح الوزارة

الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروة وهي تلو الامارة والرتبة
العلياء والدرجة الكبرى **وقال منصور النمري**

ولو علمت فوق الوزارة رتبة تنال بمجد في الحياة لنالها

والانبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف الملوك والامراء
وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما السلام وحكى الله عن موسى
قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا

قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري ثم
قال تعالى في نظام الآية وعلى نسق الكلام قد أوتيت سؤلك يا موسى فدل على
أنه قد جعله وزيره وصاحب أمره وشريكه وأفصح عن حسن موقع الوزارة
وجلالتها ووقوع الحاجة إليها وكان آصف بن برخيا وزير سليمان
بن داود والمتولي على أمره وكان نبينا المصطفى عليه السلام يقول إن لي
وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فأما اللذان من أهل السماء فجبريل
وميكائيل وأما اللذان من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وقال النبي صلى الله عليه
إذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا إن نسي ذكره وإن نوى خيرا أعانه
أو أراد شرا كفه وكان أنوشروان يقول لا يستغني أعلم الملوك عن الوزير ولا
أجود السيوف عن الصقال ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعقل النساء
عن الزوج ولشرف الوزراء ومكانتهم لدى الأمراء ومشاركتهم إياهم في الأمور
وتصرفهم في التدبير ما جرى في المثل السائر على وجه الدهر لا تغترن بكرامة
الأمير إذا غشك الوزير وإلى هذا المعنى أشار ابن العميد وزاد فيه حيث قال
لصديق له من الجلوس كان مختصا بأمير ركن الدولة
وزعمت أنك لست تفكر بعد ما علقت يداك بذمة الأمراء

هيهات لم تصدق فكرتك التي قد أوهمتك غنى عن الوزراء
لم تغن عن أحد سماء لم تجد أرضا ولا أرض لغير سماء
وفي المزدوجة المعروفة بذات الحلل
إذا طلبت نائل الأمير فالطف لذمة الوزير
وما أحسن قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك وزير المعتصم والواثق بعده
أبا جعفر إن الخليفة إن يكن لواردها بحرا فإنك ساحل ومنه
أخذ يحيى بن علي بن يحيى المنجم قوله
لأمير المؤمنين المهتدي بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم من فضله شرع منه إلى البحر يرد وليس للمعتضد كلام
أحسن من قوله لأحمد أبي الطيب السرخسي وقد سعى إليه بوزيره القاسم
بن عبيد الله يا سرخسي لا تلعب بوزيري وظهيري ومن قلمه ناسخ وثيق ملكي
وناظم عقد دولتي وكان الصاحب يقول لعلي قد مدحت بمائة ألف
بيت ليس فيها أحسن من قول أبي سعد الرستمي
ورث الوزارة كابرا عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العباس عباد وزارته وإسماعيل عن عباد

ذمّ الوزارة قال المأمون لأحمد بن أبي خالد هل لك أن
أستوزرك قال دعني يا أمير المؤمنين يكون بيني وبين الغاية درجة يرجوها
الصديق ويخافها العدوّ وقلت إنّ بلوغ الغاية لبلاء يقول عدوّي قد
بلغها وليس إلّا الانحطاط وكان أحمد بن أبي أبيك يذمّ الوزارة ويتكرّه
من إنشاد وإنّ الوزير وزير آل محمّد أودى فمن يشناك كان وزيرا
فلمّا خطبها وتقلّدها قيل له ألم تكن تذمّها وتكرهها قال بلى ولكنّها
مركب شهيّ شريف لا تطيب النفس بتركه على ما فيه من عظيم الخطر وكان
إبراهيم بن المدبّر إذا عرضت عليه الوزارة أنشد قول العتّابي

تلوم على ترك الغنى باهليّة طوى الدهر عنها كلّ طريف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا مقلّدة أجيادها بالقلائد
يسرّك أنّي نلت ما نال جعفر من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأنّ أمير المؤمنين أغصّني مغصّهما بالمرهفات البوارد
دعيني تجئني ميتتي مطمئنّة ولم أتجشّم هول تلك الموارد
فإنّ عليّات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود

وقال بعض الحكماء أكثر الناس عدوّا ومجاهدا وحاسدا لمنابذا أو وزير

السلطان في ذو المكانة منه ولا ينتفع بما يليهم مثل الصمم والاستقامة
في السرّ والعلانية وفي كتاب مزدك أخوف ما يكون الوزير عند
وقوع الدهماء وكان يقال مثل الملك الصالح إذا كان وزيره فاسدا
مثل الماء الصافي العذب النمير الذي فيه التماسيح فلا يستطيع الإنسان
وروده وإن كان سابحا وإلى الماء ظاميا وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه

أكتّاب بست كم تناجزكم على وزارة بست وهي سخنة عين
وخفّ حنين فوق ما تطلبونه فلم يبتسل يا قوم حرب حنين

وأنشد أيضا لنفسه حظّي على وزارة بست وزرتها من أعظم الدرجات
قلت لا أشتهي وزارة بست إنّني لا أملّ بعد حياتي

وأنشد أيضا لنفسه
وزارة بست وزرها قاصم الظهر ومتعتها أشفى العداة إلى الظهر
فلا تخطبنها إنّها ضرّة الغنى وبغيتها ذوح البغولة في الحشر

وأنشد أيضا لنفسه وزارة المحض الآن خطّة بل هي الكبرى
فلا تردها ولا تردنها فإنّها محنة مبينة

مدح العقل

قال الله جلّ ذكره في تعظيم شأن العقل وإنّ في خلق السماوات والأرض لآيات
لقوم يعقلون وقال فاتقون يا أولي الألباب وقال النبيّ صلّى الله عليه

أن الناس يعملون الخيرات وإنما يعطون أجورهم يوم القيامة على أقدار عقولهم
وقيل لنبي في رجل الحسن العقل الكثير الذنوب فقال ما من آدمي إلا
وله خطايا وذنوب فمن كانت سجيته العقل لم تضره ذنوبه لأنه كلما أخطأ
لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة تمحو ذنوبه وتدخله الجنة وقال سعيد بن
المسيب في قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم قال ذوي عقل مجاهد في
قوله لمن كان له قلب أي عقل الضحاك في قوله لينذر من كان حيا أي
عاقلا الحسن البصري العقل هو الذي يدل إلى الجنة ويحمي من النار
أما سمعت قوله عز اسمه حكاية عن أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا
من أصحاب السعير وقال بعض من العقلاء والبلغاء لا مال أعود من
عقل والعقل أشرف الأحساب وما عبد الله بمثل العقل العقل
أحصن معقل وأشد الفاقة عدم العقل كل شيء إذا كثر رخص
إلا العقل فإنه إذا كثر غلا ومن فصول ابن المعتز العقل غريزة
تزينها التجارب حسن الصورة الجمال الظاهر وحسن العقل الجمال الباطن
ليست الصورة الإنسان إنما الإنسان العقل ما أبين وجوه الخير
والشر في مرآة العقل إن لم يصدها الهوى والعقل صفاء النفس

والجهل كدرتها ومن الشعر السائر على وجه الدهر
يعد رفيع القوم من كان عاقلا وإن لم يكن في قومه بحسيب
إذا حل أرضا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب
ذم العقل كان يقال العقل والهم لا يفترقان وقال
ابن المعتز حلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا
ومن فصول القصار العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه يفرح بما أظهر
من محاسنه من كان عاقلا لم يكن إلا خائفا فصل يليق بهذا
الباب في ذم الجنون العقل كالمرآة المجلوة ترى صاحبه فيها
مساوي الدنيا فلا يزال في محوها مهموما متعذر السرور حتى يشرب النبيذ
فإذا ابتدأ بشربه صدئ عقله بمقدار ما يشرب فإن أكثر منه غشيه الصدأ
كله حتى لا يظهر له صورة المساوي فيفرح فمرح والجاهل كالمرآة الصدئة
أبدا فلا ترى صاحبه إلا مرحا نشيطا قبل الشرب وبعده ومن قلائد أبي
الطيب المتنبي ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
قال أبو الفتح بن جني هذا مثل قولهم ما سر عاقل قط ولما عزل عمر
بن الخطاب رضي الله عنه زيادا عن عمل كان يتولاه قال له زياد أمن عجز أم

جاءتني يا أمير المؤمنين فقال لا أنزل أحدهما ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل
عقلك. وكان الحسن البصري يقول لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا
وقال بعضهم لو كان الناس كلهم عقلاء ما أكلنا رطبا ولا شربنا ماء باردا يعني
أن العقلاء لا يبذلون على صعود النخل لاجتناء الرطب ولا على حفر الآبار
لاستنباط المياه الباردة
وينشد
لما رأيت الدهر دهر الجاهل ولم أر المغبون غير العاقل
شربت خمرا من خمور بابل فبت من عقلي على مراحل

مدح العلم والأدب

روي عن النبي صلى الله عليه العلماء
ورثة الأنبياء. وكان يقال العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت
تحرس المال. والملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. ومن
فضائل العلم أن شهادة أهله مقرونة بشهادة الله تعالى وملائكته في قوله تعالى
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم. وقد رفع عز اسمه درجاتهم
فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات. وذكرهم
تعالى في علم التأويل مع نفسه فقال وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون
في العلم. وأخبر أن الأمثال التي يضربها للناس لا يعقلها إلا هم. فقال

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. ونبه عن جلالة
أخطارهم ونباهة أقدارهم. فقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون. ويروى عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول كفى بالعلم شرفا أنه
يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه. وكان يقال العلماء في الأرض
كالنجوم في السماء. ولولا العلم لكان الناس كالبهائم. وقال بعض
الحكماء العلم صبوح القلوب ومصابيح الأبصار. وقال ابن المعتز في فصوله
القصار علم الرجل ولده المخلد. الجاهل صغير وإن كان شيخا والعالم
كبير وإن كان حدثا. وما مات من أحيا علما ولا افتقر من ملك فهما. وقلت
في الكتاب المبهج العلم أشرف ما رغب فيه وعيت والخير أفضل ما ادعيت.
العلماء أعلام الإسلام وأعيان الإيمان. وقديما كان العالم موقرا والجاهل
محقرا. وكان ابن جمهر يقول ليت شعري أي شيء أدرك من فاته الأدب
أم أي شيء فاته من أدرك الأدب. وكان يقال من قعد به نسبه نهض
به أدبه. وقال بعض الحكماء لابنه يا بني عز السلطان يوم لك ويوم عليك
وعز المال وشيك ذهابه جدير انقطاعه وعز الحسب إلى خمول ودثور
وعز الأدب راتب واصب لا يزول بزوال المال ولا يحول بحول السلطان

وعيت
دعيت

وقال ابن عايشة أهل الأدب هم الأكثرون وإن قلّوا ولا يحلّ الا حيث
حلّوا ◦ وقال خالد بن صفوان لبنيه يا بنيّ الأدب الأدب بهاء الملوك ورياش
السوقة والناس بين هاتين فتعلّموه تجدوه حيث تحبّون ◦ ومن فصول ابن
المعتز لن تعدم من الأديب كرماً من طبعه أو تكرّماً من أدبه الأدب
يشحذ الفطن الأدب صورة العقل فحسّن عقلك كيف شئت ◦ وفي الكتاب
المبهج الأدب وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة حلية الأدب
لا تخفى وحرمته لا تجفى وقال محمد بن أبي محمد اليزيدي

ليس الفتى كل الفتى إلا الفتى في أدبه   وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

وأنشد الأستاذ أبو بكر الخوارزمي لغيره

لو علم الجاهلون ما الأدب لأيقنوا أنه هو الطرب ◦ وقد مدح
أبو عثمان الجاحظ أنواع العلوم وذمّها بأعيانها معرباً عن قدرته على الكلام
وبعد شأوه في البلاغة وحين سئل عن الأثر والحديث ◦ قال أخبار
الماضين وأنباء الغابرين وقصص المرسلين وآداب الدنيا والدين وبه يعرف
التأويل والرواية والسنة والمصحف والمفسر والناسخ والحجة إلى طلبها
تشدّ الرحال وحوله تعكف الرجال ويسير بذكره في البلدان ويبقى   فنون

فقه   اسمه على الزمان ◦ وقيل ما الفقه قال علم الحلال والحرام وبه شرائع الإسلام وبه
تقوم الحدود والأحكام وهو عصمة في الدنيا وزينة في الآخرة يخطب لطالبه
فضل الأعمال ويخلع عليه ثوب الجمال ويلبسه الغنى ويبلغه مرتبة القضاء قيل
كلام   ما الكلام قال هو بارز كل صناعة وزمام كل عبارة وقسطاس يعرف به الفضل
والرجحان وميزان يعلم به الزيادة والنقصان ويعرف به الإبريز والستوق
ويعرف به الصفو والكدر ◦ وسلّم ترتقي به إلى معرفة الصغير والكبير ويتوصل به
إلى الحقير والخطير ◦ وأداة للتفصيل والتحصيل وإدراك للدقيق والجليل
وآلة لإظهار الغامض الملتبس وأداة لكشف الخفي والمشتبه وبه يعرف
ربوبية الرب وحجة الرسل ويحترز من شبهات المقالات وفساد التأويلات
ويدفع مضلات الأهواء والنحل ويبطل تأويل الأديان والملل ويتنزّه
فلسفة   عن غباوة التقليد وعمى التسليم قيل فما الفلسفة ◦ قال أداة الضماير
وآلة الخواطر ونتايج العقل وأداة معرفة الأجناس والأنواع وعلم الأعراض
والجواهر وعلل الأشخاص والصور واختلاف الأخلاق والطبايع والسجايا
والغرايز ومعرفة الأشكال والأضداد وأسباب الكون والفساد وبه يعرف
حركات الأجرام العلوية وطبايع الجواهر الأرضية علم هو للماضين آثار وللباقين

نجوم

مناة وقيل في علم النجوم قال به يعلم عدد السنين والشهور ومواقيت
الأزمنة والفصول ومنازل الأنواء ومطالع النجوم ومعرفة الأهلة وتوالد
الأظلة وسموت البلدان وأقدام الزوال في كل وقت زمان وساعات الليل
والنهار في الزيادة والنقصان وأمارات الغيوث والأمطار وأوقات سلامة
الزرع والثمار وقيل في الطب قال سائس الأبدان والمنبه على طبائع الحيوان

طب

وبه يمكن حفظ الصحة ومداواة العلة والوقوف على المنافع والمضار علم
يحتاج إليه الخاص والعام ولا يستغني عنه الصغير والكبير وقيل في النحو قال

نحو

يبسط من الغبي لسانه ويجري من الحصر جنانه ويسلم من هجنة اللحن ويحرف
القول وهو آلة الصواب للنطق وتسديد كلام العرب وقيل في العروض

عروض

قال ميزان الشعر وعيار النظم وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم
وعليه مدار القريض والشعر وبه تسلم من الأود والكسر وقيل
في الحساب قال علم طبيعي لا خلاف فيه واضطراري لا طعن عليه ثابت

حساب

الدلالة واضح البرهان سالم من المناقضة حاكم يقطع ويؤدي إلى الإنصاف
وبه حفظ الأموال والأعمال ونظام أمور الملوك والتجار وقيل في التعبير
قال علم نبوي وسفير إلهي وإشارة سماوية وبشير ونذير ومخبر عن الأشياء

تعبير رؤيا

الغائبة والحاضرة وينبئ عن أمور الدنيا والآخرة وقيل في الخط قال لسان
اليد وبهجة الضمير ووحي الفكر وناقل الأخبار وحافظ الآثار وعمدة
الدين وعدة الدنيا

خط

ذم العلم والأدب

من أمثال أهل بغداد جهل يعولني خير من علم أعوله وفي ذلك يقول بعضهم
وما أصنع بالعلم إذا أعطيت بالجهل ومن أمثالهم كف
خير من كر علم

بخت

وقال ابن أبي البغل

الصحو يصفر آمنا ولربما جبن الهزار لأنه يترنم
لو كنت أجهل ما علمت لسرني جهلي كما قد ساءني ما أعلم

وقال غيره

المال يستر كل عيب في الفتى والمال يرفع كل نذل ساقط
فعليك بالأموال فاقصد جمعها وأضرب بكتب العلم عرض الحائط

وكتب إلى عمر بن شبة بعض أصدقائه

أجفاء يا ابن شبة بعد نصح ومحبة
ولزوم للدواوين ولا يعطون حبة
وليس يغني [illegible] القوم شيئا وشبه
فالزم الجهل فإن الجهل عند القوم شبه
ودع العلم فإن العلم في ذا الدهر سبة

وقال ابن خلاد القاضي الرامهرمزي

قل لابن خلاد إذا جئته مستندا في المسجد الجامع

هذا زمان تخطى به حدثنا الأعمش عن نافع
وكان يقال ما لعقلهم أنفع من أدب ولو دوكان صيود خير من أسد قعود
ويقال إذا أكثر الأدب قل الخير وما قل خيره كثر ضيره وقال بعضهم
حرفة الأدب حرفة وقال الجدوي ويروى للخليل
ما ازددت من أدبي حرفا أسر به إلا تزيدت حرفا تحته شوم
إن المقدم في حذق بصنعته أنى توجه فيها فهو محروم وأنشد
أبو الحسن المشاهدي في كتابه كتاب من غاب عنه المنادم
إذا شئت أن تحظى وأن تلبس قوهيا من الوشي أو الخز أو البرد يمانيا
وإن تصبح ذا عز فكن علجا نبيطيا وإن ترك حرفا به تصبح مقلبا
فكن ذا أدب جزل وكن مع ذاك محروما
وأنشد هو وغيره
إذا هممت بشاء قلت أي فداه كنه أدركتني حرفة الأدب
لا تغبطن أديبا ما له نسب لا خير في أدب إلا مع النسب
وقال آخر ثنتان من أدوات العلم قد شغلنا عن شأو غامرنا من الهمم
أما الدواة فأدوى كتابها بدني وقلم المال عني حرفة القلم

أو أجنى القوم صالح واحتوت خضر الأنابيب في الأغصان والأجم
إلا جنية حمأة أن بها وبالقواصب أنفى غاية العدم
سئل الجاحظ عن الأثر والحديث فقال تناقض الأصول وقلة المحصول
نعمة مدبرة وآلة مجاري وقيل في الفقه فقال يفتقد بالآراء ويتقلد بالأهواء
دقيقة لا يسلك وجليله لا ينفق وقيل في الكلام فقال تستوعب الخواطر
ويتشكك الضمائر وصاحبه متعرض للتكفير وهو من علوم المدابير
وقيل في الفلسفة فقال كلام مترجم وعلم مرجم بعيد مداه قليل جدواه
مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة وربما زل صاحبه عن الدين
القويم والطريق المستقيم وقيل في علم النجوم فقال حدس ورجم صوابه
عسير وغلطه كثير خوه محروم وصناعة مجروم وقيل في الطب فقال
موضوع على التخمين والحدس وتعليل النفس لا يوصل منه إلى الحقيقة ولا يحكم
فيه بالوثيقة وقيل في النحو فقال علم مخترع وقياس مبتدع ثقيل على
ذي الأسماع قليل الانتفاع علمه قديم وصناعة معلم وقيل في العروض فقال علم
مولد وأدب مستبرد ومذهب منقود وكلام منقوض يستكد العقول
مستفعلن وفعولن في غير فائدة ولا محصول وقيل في الحساب فقال مستفحم

عن الإدراك منعقد شديد الاشتباك ۞ وقيل في التعبير الفطن وجبان
لا يثبت بدليل ولا يقوم عليه برهان علم مضعوف وبضاعة مكفوف بل
فالخط قال قليل الرديء أكثر من صناعة محرز وآلة مرزوق **ملح القلم**
والخط والكتابة ۞ كان يقال القلم أحد اللسانين وعقول الرجال
تحت ألسنة أقلامها ۞ وقال بعض الفلاسفة صورة الخط في الأبصار
سواد وفي البصائر بياض ۞ وقال آخر القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه
القلب ويصوغ ما يسبكه اللب ۞ وقال أقليدس الخط هندسة روحانية
وإن ظهرت بآلة جسمانية ۞ وقال أفلاطون الخط عقال العقل وقال جعفر جسمانية
بن يحيى لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم ۞ وقال المأمون لله در القلم
كيف يحوك وشي المملكة ۞ وقال ثمامة ما أثرته الأقلام لم تطمع في دروسها
الأيام ۞ وقال ابن المعتز القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الإرادة
ولا يمل الاستزادة كأنه يفتح باب بستان أو يقبل بساط سلطان ۞
وكان المأمون يقول الأقلام مطايا الأوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام
ويتسهل بجريها النظام ۞ **وأنشد**
نظم صاعد في وزير
قوم إذا خافوا عداوة كاشح سفكوا الدما بأسنة الأقلام

ولضربة من كاتب ببنانه أمضى وأنفذ من رقيق حسام
وقد نوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها إذ أضافها إلى نفسه جل اسمه
وإن لم تكن تلك الإضافة من النوع الذي يضاف إلى خلقه ولا راجعة بوجه من
الوجوه إلى شبهه إلا أنه دلنا على علو رتبتها وشرف منزلتها فقال عز
من قائل وكتبنا له في الألواح من كل شيء ۞ وقال تعالى ذكره وكتبنا عليهم
فيها أن النفس بالنفس ۞ وقال سبحانه كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وجعل
جل جلاله من الملائكة كتبة وهم أرفع الخلق درجة ۞ فقال عز ذكره وإن
عليكم لحافظين كراما كاتبين ۞ وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ومعلوم
أنه لو لم تكتب أعمال العباد لكانت محفوظة لا يتخللها خلل ولا يتداخلها
نسيان ولا زلل ولكنه علم أن نسخ الكتاب أوكد وأبلغ في الإنذار والتحذير
والهيبة في الصدور وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة ۞ وأقسم
عز ذكره بالآلة التي بها تتهيأ الكتابة وهي القلم فقال ن والقلم وما يسطرون
كما أقسم بالأشياء التي هي جليلة الأقدار كبيرة الأخطار في نفوس عباده كالشمس
والقمر والنهار والليل والسماء والأرض والإنسان وذاكرت في هذا الباب
أبا الفتح البستي ۞ **فأنشدني لنفسه** ۞

إذا افتخر الأبطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وهذه رسالة لمؤلف الكتاب في حل الأشعار المختارة في فضل القلم ووصفه من كتاب نثر النظم وحل العقد للمؤلف المجلس الرفيع أدام الله علوه وأولها في طريق اللغز وآخرها في الذكر العالي ثبته الله ما أصم سميع أخرس بليغ ضعيف قوي مبين عزيز دقيق الجسم جليل الفعل نحيل الشخص سمين الخطب حقير المنظر شهير الخبر خفيف الحمل ثقيل الموقع صغير الجرم عظيم الجرم يجمع أوصاف العشاق في النحول والاصفرار والدمع المراق ويحاكي أفعال الدهر في النفع والضر والجمع بين الثري والثرى وشوب الغنم بالعزم والمكن بالهلك ويجري بالنحس والسعود بين القيام والقعود ويقضي بالسراء والبأساء إذا أضحك القرطاس بالبكاء ويحكم بالقضايا والمنايا والعطايا منتظما خمس مطايا وفي إحدى سنتيه ريق النحل بل مزجه وفي الأخرى لعاب النحل مجه وفي أحد جانبيه البلاء الواقع والسم الناقع وفي الآخر الدواء النافع والشفاء الجامع فإذا أعيا وكل وعي واعتل قطع رأسه فعاد صحيحا ونطق فصيحا حتى كأنه الشمعة عندها في ذهابها وحياتها في قتلها

ومن عجائبه أنه ينطق في الخفية بالمشرق فيعرب بالمغرب ما بينه من المنطوق ومن لطائفه أنه يكشف عن الضمير ويحصل ما في الصدور ويقسم الغائب بين القبور والصدور ولا أطيل عليك يا مولاي بذكر أوابده وفوائده ووصف عوائده وعوائده هو القلم الذي علم الله به أولا وجعله آخرا وجعله كاتب وحيه ولسان أمره ونهيه فالعلوم من آثاره والآداب من ثماره والسيوف والرماح من خدمه وما منا إلا متحمل لعمه ونعمه ولقد حرره إذا سما إلى سماء الفضل وملك المجد وينبوع الجود من يد مولانا المعظم خوارزم شاه ولي النعم أدام الله سلطانه وثبت أركانه فطفق يخدم على فكره ويقف كيف يشاء عند أمره ويستخرج درر طبعه من بحر علمه ويرصعه تاجا على مفرق دهره فهناك الجمال بحليته والكمال بكليته والبلاغة بجوامعها والبراعة في أجزل معارضها وهناك جرى الكلام يقطر منه ماء الظرف ويلوح عليه شعاع الكرم فكم له من توقيع يملك رق الحسن والإحسان ويقع موقع الماء من العطشان أعاد الله مولانا من عين الكمال ونوائب الزمان ولا زالت آثاره به العالية قبلة توجه إليها صلوات التعظيم ويوقف عليها صوان الإجلال والتقديم آمين اللهم آمين

رسالة أخرى في حل أبيات في فضائل الكتاب

وممادحهم معادات الكتاب لينتشر انفعال ذوي الألباب وأن ثمار اتهم
ندامة وثمار منتهم سلامة وغنيمة وما ظنك بقوم يملكون أزمة المنى والمنايا
بحسن كلامهم ويخطبون على منابر الفضل بألسنة أقلامهم ويريقون دماء الأعداء
بأسنة أقلامهم وقد ما أغنت كتبهم عن الكتائب وناب آثار أيديهم عن القواضب
وأجرى الله على أناملهم جسام المنائح والمواهب ففي سواد مدادهم بياض النعم
وحمرة الدم وفيه مرة روح الحيوة وأخرى سم الحيات وطورا حلاوة الأري
وتارة مرارة الشري ويوما ثواب النعيم ويوما عقاب الجحيم ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم قال مؤلف الكتاب ومن
أحاسن ما قيل في وصف الخط والبلاغة قول ابن المعتز

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه تفتح نورا أو تنظم جوهرا

وقول أبي الفتح كشاجم

وإذا نمنمت بنانك خطا معربا عن بلاغة وسداد
عجب الناس من بياض معان تجتنى من سواد ذاك المداد

وقول أبي الفتح البستي

لئن نسل أقلامه يوما ليعملها أنساك كل كمي هز عامله
وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنام له

وقوله أيضا

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات

نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ما لا ينال بحد المشرفيات

وقال آخر

قلم ما أراه أم فلك يجري بما شاء قاسم ويسير
راكع ساجد يقبل قرطاسا كما قبل البساط شكور

ذم القلم والخط والكتابة والكتاب

قال ابن المعتز في ذم القلم

وأجوف مشقوق كأن شباته إذا استعجلته الكف منقار لاقط
وآه به قوم فقلت رويدكم فما كاتب بالكف إلا كشارط

وقال بعضهم لو كان في الخط فضيلة لما حرمه رسول الله صلى الله عليه
وقال بعض ولاة الخلفاء الخط صناعة ولا تحسن الصناعة بالملوك

وقال كشاجم

تنبي عن الأيام تعرف أي ابن دهر لين ينصف
وبلاغة معروفة سهلت وأخطأها التكلف
وسطور خط موثق كالروض والبرد المفوف
والخط لين نافع ما لم يكن خطا مصحف

وقال آخر

وإذا أخطأ الكتابة حظ سقطت تاؤها فصارت كآبه

وقال بعض الحكماء ما لقينا من الكتاب في الدنيا والآخرة أتاني

الدنيا قد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه وإقامة شرائطه وأما في
الآخرة فإنا نلقاه منشوراً أسرارنا وخفايا صدورنا ** وذكر أبي الخط عامة
الكتاب فقال أخلاق حلوة وشمائل معشوقة وثياب نظيفة وظرف
أهل الفهم ووقار أهل العلم فإذا أصلوا نار الامتحان كانوا كالزبد يذهب
جفاء وكنبات الربيع في الصيف يحركه هبوب الرياح ولا يستندون إلى
وثيقة ولا يدينون بحقيقة أخفر الخلق لأماناتهم وأشراهم بالثمن البخس لعهودهم
فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ومما قيل في ذمهم قول ابن عوير

تعس الزمان فقد أتى بعجاب ... ومحى رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي ... فيهم رددتهم إلى الكتاب

وقوله أيضاً

يا كاتباً نقل العنوان في سنة ... والفضل من بعد ما أنا يعتني حين
لا يعرف الفرق في عمرو وفي عمر ... جهلاً ولا يعرف بين الزين والشين

وقال بعض العصريين

وكاتب كتبه تذكر القرآن ... حتى ظللت في عجب
ما للفظ قالوا قلوبنا غلف ... والخط تبت يدا أبي لهب

ووصف بعضهم خطاطاً رديئاً فقال خط منحط كأرجل البط على الشط

وأنامل الرطان على الحيطان ** ووصف آخر كاتباً فقال فارس من البلاغة
قصير باع الكلام قد صدئ فهمه وتبلد طبعه وتكدرت خواطره ووصف آخر آخر
فقال خط سمج ولفظ ملجلج

ملح الشعر

الشعر ديوان العرب في معرفة حكمها وكثرة آدابها والشعر لسان
الزمان والشعراء أمراء الكلام ** وقال بعض السلف الشعر أدنى مروءة السري
وأسرى مروءة الدني ** وقال آخر الشعر جملة من كلام العرب تقام به
المجالس وتستنجح به الحوائج ويشفى به الغيظ وكان يقال المدح مهز الكرام
وإعطاء الشاعر من بر الوالدين ** وقال بعضهم أنصف الشعراء فإن ظلامتهم تبقى
وعقابهم لا يفنى وهم الحاكمون على الحكام ** وقال آخر الشعر إصابة في القول
وذكاء في القلب وطول في اللسان وجود في الكف ** وقال آخر الشعر هو السحر
الحلال والماء الزلال وكان النبي صلى الله عليه يرتجز وينشد ويستطرف ولا
يقيم وزنه وقال عليه السلم إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً وعنه
عليه السلم أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد يعني

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل **

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر. وكان يقال النثر يتطاير تطاير الشرر والنظم يبقى بقاء النقش في الحجر. وقال بعضهم رب بيت شعر خير من بيت تبر. وقال آخر الشعر صوت العقول وكلام الفحول. وقيل لحمزة بن بيض من أشعر الناس فقال من إذا قال أسرع وإذا وصف أبدع وإذا مدح رفع وإذا هجا وضع. وقال دعبل في كتابه كتاب الشعر والشعراء من فضائل الشعر أنه لا يكذب أحد إلا اجتواه الناس وقالوا كذاب إلا الشاعر فإنه يكذب ويستحسن كذبه ويحتمل ذلك له ولا يكون عليه عيبا ثم لا يلبث أن يقال له أحسنت. ومنها أن الرجل الملك أو السوقة إذا اضطر ابنه في الكتاب أمر معلمه أن يعلمه القرآن والشعر فيقرنه بالقرآن ليس أن الشعر كالقرآن ولا كرامة للشعر ولكنه من أفضل الآداب فيأمر بتعليمه إياه لأنه يوصل به المجالس ويضرب به الأمثال ويعرف به محاسن الأخلاق ومساويها فيتبع به ويجتنب فيهجى ويمدح وأي شرف أبقى من شرف يبقى بالشعر. ومنها أن امرأ القيس كان من أبناء الملوك وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكا فبادوا وباد ذكرهم

وبقي ذكره إلى يوم القيامة وإنما أمسك ذكره شعره. قال مؤلف الكتاب ومن أحسن ما قيل في مدح الشعر قول أبي تمام

ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بناة المعالي كيف تبنى المكارم

وأحسن منه قول ابن الرومي

أرى الشعر يحيي الجود والناس بالذي ... تبقيه أرواح له عطرات

وما المجد لولا الشعر إلا معاهد ... وما الناس إلا أعظم نخرات

وقال آخر

أراني إذا ما قلت شعرا أثرته ... وما الشعر إلا آية ويكتب

فصل للأستاذ أبي بكر الخوارزمي في الشعر والشعراء

ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا منهم والكذب مذموم إلا فيهم إذا ذموا ثلبوا وإذا مدحوا سلبوا وإذا رضوا رفعوا الوضيع وإذا غضبوا وضعوا الرفيع وإذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد إليهم يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحتقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ في الأعراض إذا نبت السهام عن الأغراض وشهادتهم مقبولة وإن لم ينطق بها سجل ولم يشهد عليها عدل وسرقتهم مغفورة وإن جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار إن نابوا المعشر لم يرد عليهم وإن صادروا

الصديق لم يستوحش منهم بل ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال
وسماسرة النقص والكمال بل ما ظنك بقوم اسمهم أنطق بالفضل واسم
صناعتهم مشتق من العقل بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله
ويخففون ثقيله ويقصرون مديده ويمدون قصيره ولم لا أقول ما ظنك بقوم
يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون

ذم الشعر والشعراء الشعر رقية الشيطان ولذلك
قال جرير وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف تورعه عن استماع الشعر

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقيل ليحيى بن خالد لم لا تقول الشعر فقال شيطانه أخبث من أن
أسلطه على عقلي ولا خير في شيء أحسنه أكذبه. وكان أبو مسلم يقول
إياكم والشاعر فإنه يهجو جليسه عند أدنى زلة ويطلب على الكذب
مثوبته. وقال غيره لا تجالس الشاعر فإنه إذا غضب عليك هجاك وإذا
رضي عنك كذب عليك. وقد وضعهم الله وشنعهم ورماهم بالصفة
الخاصة بهم فقال والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد
يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون. وقرنهم الله تعالى بشر صنف

يتبعهم

من يتحلى إلا بباطل وهم الحمسة فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. ومن أحسن وأصدق ما هجي به الشاعر
قول عبد الصمد بن المعذل لأبي تمام وقد قصد البصرة وشارفها

أنت بين اثنتين تبرز للناس ... وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك طالبا لوصال ... من حبيب أو طالبا لنوال
أي ماء لحر وجهك يبقى ... بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما بلغ الأبيات أبا تمام قال صدق والله وأحسن وثنى عنانه عن
البصرة وحلف أن لا يدخلها أبدا

وقال أبو سعيد المخزومي

الكلب والشاعر في حالة ... يا ليت أني لم أكن شاعرا
أما تراه باسطا كفه ... يستطعم الوارد والصادرا

وقال أبو سعيد الرستمي الأصفهاني

تركت الشعر للشعراء إني ... رأيت الشعر من سقط المتاع

مدح الكتب والدفاتر قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما ١٠
وظرف حشي ظرفا وإناء شحن مزاحا وجدا إن شئت كان أعيا من
باقل وإن شئت كان أفصح من سحبان وائل وإن شئت ضحكت من نوادره

وإن شئت عجبت من غرائبه وإن شئت ألهتك نوادره وإن شئت أشجتك
مواعظه والكتاب نعم الظهير والعمدة ونعم الكنز والعقدة
ونعم الذخر والعدة ونعم النزهة والنشرة ونعم الشغل والحرفة
ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل
ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق
الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستميح الذي لا يستزيدك والجار
الذي لا يستبطيك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق
ولا يخدعك بالنفاق والكذب وهو الذي يطيعك بالليل طاعته بالنهار
ويطيعك في السفر طاعته في الحضر لا يعتل بنوم ولا يعتريه كلال
سهر وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة
لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن قل مالك لم
يترك زيارتك وإن هبت ريح عدوك لم ينقلب عليك ومتى كنت
متعلقا منه بسبب ومعتصما منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة
الوحدة إلى جليس السوء وكان لكل محجوب ذا هفوات وكان الكتاب
مأمون العثرات يوسع الألباب ويفيد الآداب وهو الذي إذا

نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود
بيانك وفخم ألفاظك ونجح نفسك وفسح صدرك وأيد فهمك وكثر
علمك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك وعرفت منه في شهر ما
لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر مع السلامة من الغرم ومن كد الطلب
ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم والجلوس بين يدي من أنت أفضل منه
خلقا وأكرم منه عرقا والكتاب هو الذي قيد على الناس كتب الدين
وحساب الدواوين مع خفة ثقله وصغر حجمه صامت ما أسكتته
بليغ إذا استنطقته ولعمري متى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة
تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن كلام الأحياء ومن لك بمؤنس
لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بهواك آمن من في الأرض وأكتم للسر
من صاحب السر وأحفظ لما استحفظ من الآمنين ومن الأعراب
المعربين بل من الصبيان قبل اعتراض الاشتغال ومن العميان العادمين
للاشتغال بتمييز الأشخاص ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك
فاتك وبساكت ناطق وببارد حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومي
هندي وبفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ومن لك بشيء يجمع

الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع
والوضيع والغث والسمين والهزل والجد والمشكل والسهل والجنس
وضده ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ويدعوك في أوقات
نشاطك ولا يحوجك إلى التجمل له والاحتشاد من أجله ومن لك
بزائر إن شئت جعلت زيارته غبا ووِرده خمسا وإن شئت لزمك
لزوم ظلك وكان منك مكان بعضك ولا يحاجبك على أبواب شيوخ
ولا ينتقص عليك في تجديد كرائه وتأجيله ولا ينيف دراهمك
ولا يستغلي سلعتك ولا أعلم جارا أبر ولا خليطا أحوط ولا
رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية ولا أقل
جناية ولا أزهد خيانة في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا
أعلم قرينا أحسن موافاة ولا أعجل مكافأة ولا أحضر معونة ولا
أخف مؤونة ولا شجرة أطول عمرا ولا أجمع أمرا ولا أطيب ثمرا
ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل أوان من كتاب ولا
أعلم نتاجا في حداثة السن وقرب الميلاد ورخص الثمن وإمكان الوجود
يجمع من التدابير العجيبة ومن العلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة

والأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة ومن المذاهب القديمة والتجارب
الحكيمة ومن الإخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والأمثال
السائرة والأمم البائدة ما يجمع الكتاب ولولا ما رسمت لنا الأوائل في
كتبها وخلدت من عجائب حكمتها ودونت من محاسن سيرها حتى
شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا به كل مستغلق علينا فجمعنا إلى قليلنا
كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه إلا بهم لقد كاد يبخس حظنا من الحكمة
ونضعف أسبابنا من المعرفة والفطنة ولولا الكتب المدونة والأخبار
المخلدة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان
الذكر ⁂ وقال حدثني صديق لي قال قرأت على شيخ شامي
كتابا فيه مآثر غطفان فقال لي ذهبت المكارم إلا من الدفاتر قال
وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول غبرت أربعين عاما ما قلت ولا بت
ولا اتكأت إلا والكتاب موضوع على صدري ⁂ قال مؤلف الكتاب
وكثيرا ما أذكر في أكل الوجبة وأنا أنظر في كتاب حديث وقع إلي
ولا أصبر إلى وقت فراغي من الأكل عنه ⁂ وكان يقال إنفاق الفضة
على كتب الآداب يخلف عليه ذهب الألباب ⁂ وقرأ أبو الحسن بن

طباطبا العلوي في بعض الكتب الكتب حصون العقلاء إليها
يلجأون وبساتينهم فيها يتنزهون فقال هو
أجعل جليسك دفترا في نشره للميت من حكم العلوم نشور
فكتاب علم للأديب مؤانس ومؤدب ومبشر ونذير
ومفيد آداب ومؤنس وحشة وإذا انفردت فصاحب وسمير
وقال أبو الطيب المتنبي وخير جليس في الزمان كتاب
ذم الكتب والدفاتر كان يقال علم لا يعبر معك
الوادي لا يعمر بك النادي وينشد في معناه
أي لا أرى علما لا يكون معي إذا خلوت به في جوف حمام
وكان يقال من تأدب من الكتاب صحف الكلام ومن تفقه من الكتاب
غير الأحكام ومن تطبب من الكتاب قتل الأنام ومن تنجم من
الكتاب أخطأ الأيام وينشد
ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر
وفي معناه لابن طباطبا
لست علومك ما حوته دفاتر لكن علومك ما حوته صدور

وأنشد بعض المؤدبين صاحب الكتب تراه أبدا غير ذي فهم وكم ذا غلط
كلما فتشته عن علمه قال علمي يا خليلي في سفط
في كراريس جياد أحكمت وبخط أي خط أي خط
فإذا قلت له هات إذا حك لحيته حياء وامتخط
وأنشد الجاحظ لمحمد بن بشير
أما لو أعي كلما أسمع وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي إلى كل شيء من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع
وأنشد يونس النحوي قول الشاعر
استودع العلم قرطاسا فضيعه وبئس مستودع العلم القراطيس
فقال قاتله الله ما أشد صبابته بالعلم وأحسن صيانته له
وللأستاذ أبي بكر الخوارزمي رسالة في ذم أمات الكتب جمع كتبها

بعض الأمراء في قوله: عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب فإن للكتب
آفات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها والفار يخرقها واللص
يسرقها

مدح التجارة والسوق

قد ذكر الله تعالى التجارة
في القرآن فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم. وقال: وأحل الله البيع وحرم الربوا
وقال: وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون
في سبيل الله، فجعلهم في الرخصة مع المجاهدين الذين هم أهل الجنة
وقال النبي صلى الله عليه: أطيب ما أكل الرجل من كسبه والكسب
في كتاب الله التجارة. وعنه عليه السلام: التاجر الصدوق مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وقال عليه
السلام: تسعة أعشار الرزق في التجارة. وقد عبر صلى الله عليه
برهة من دهره تاجرا وشخص مسافرا وباع واشترى حاضرا ولاشتهار
أمره في ذلك قال المشركون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في

الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون
له جنة يأكل منها فيستغني بها عن الشراء والبيع والقيام في الأسواق
فأوحى الله إليه: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام
ويمشون في الأسواق، فأخبر أن الأنبياء قبله قد كانت لهم تجارات وصناعات
وكان عمر بن الخطاب يقول: ما من منية بعد القتل في سبيل الله أحب
إلي من أن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله
وقال بعض السلف: الأسواق موائد الله في أرضه فمن أتاها أصاب منها
ثم قرأ: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم يعني التجارة في
الأسواق. وكان يقال: التجارة إمارة. والجالب مرزوق والأرباح
توفيقات. وقال آخر لبعض الصحابة: لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر
شيئا، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه.

ذم التجارة والسوق وأهلها

في الخبر: لو شئت خلقت لكم أن التاجر فاجر. وفيما أوحى الله إلى
أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. وعن علي بن أبي طالب: الفقه ثم المتجر
فإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطاه. وكان الضحاك بن مزاحم يقول

ما من تاجر ليس بفقيه إلا أكل الربا شاء أو أبى. وكان عمر يقول
ويل للعالم من غد وبعد غد وللتاجر من لا والله وبلى والله وكان
قتادة يقول عجبا للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار كالف وبالليل
يحسب. روي أن إبليس لعنه الله لما استنظر فأنظر قال إلهي أين بيتي
قال الحمام قال فما مصايدي قال النساء قال وأين مجلسي قال الأسواق. وكان
عكرمة يقول أشهد على كل كيال ووزان بالنار. وقال بعض السلف
إياكم والأسواق فإن الشيطان قد باض فيها وفرخ. وقال أبو الدرداء
إياكم ومجالس الأسواق فإنها تلغي وتلهي. وقال رجل للحسن أصليت قال
لا قال فإن أهل السوق قد صلوا قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق إن
نفقت أسواقهم أخروا الصلوات وإن كسدت عجلوها. وقال مالك بن دينار
السوق مطلحة للمال مفسدة للدين. وكان سفيان الثوري يقول لا تنظروا إلى
زي أهل السوق وثيابهم فإن تحتها ذئابا. وكان يقول إياكم وجيران الأغنياء
وقراء الأسواق وفقهاء الرساتيق. ونظر عمر وتبسم إلى أهل السوق
واشتغالهم بأمر الدنيا فقال ويحهم ما أغفلهم عما أعد لهم. وقال
أعرابي لأخيه يشكو عن قوم أرزاقهم من ألسنة الموازين وأفواه المكاييل

وكان يقال من جمع المال من الدوانق فما عسى أن يعطي غير القراريط. وقال
بعض الأشراف لصديق له لا تعلم ابنك في شيء من أنواع التجارة فإنها تورث
بجالد لوم الطبع وترك التغلب وقصر الهمة وسوء الأدب وعي اللسان
وينشد إذا ما غضب السوقي فالحبة ترضيه وينشد
ما التجار والسخاء وإنما نبتت لحومهم على القراط. وقال ابن الرومي

رب أطلق يدي من كل شحيح ذي ثراء بسمته وسكونه
تاجر فاجر جموع منوع يرزق الناس باقتضاء ديونه

وقال آخر

خذوا مال التجار وسوفوهم إلى وقت فإنهم لئام
وليس عليكم في ذاك إثم فمال جميع ما جمعوا حرام

وقال آخر

قد نرى يا ابن أبي إسحق في ورك برده وأذى السوقي في الإخوان سوقي المودة

وقال آخر

إذا السوقي جعد حاجبيه لبيشرق حبة فابصق عليه
إذا زرق الجبينة لا تبالي أسخط ربه أم والديه

فلا تشقين بسوق لبيعه وإن كان أمرا أنزحي إليه

مدح الضياع والحث على اقتنائها هشام بن عروة عن أبيه
عن عايشة أن النبي صلى الله عليه قال التمسوا الرزق في خبايا الأرض
وعن مصعب عن ليث عن عقيل عن ابن شهاب قال كان عروة بن الزبير يقول
أزرع أمالك أرض أما تمعت **قول الشاعر**

أقول لعبد الله لما لقيته بسيرنا أعلى الرقتين مشمرا
تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوما أن تجاب فترزقا

وقال بعض السلف من أراد أن تتوسع في الرزق فليقتن مع تجارة له
ضيعة لأن الله تعالى قرن بينهما في قوله يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما كسبتم يعني التجارة ومما أخرجنا لكم من الأرض يعني بالكسب التجارة وبالإخراج
الضيعة وقيل للمغيرة بن عتيبة ما بال الكحال يبيع الضيعة فلا
يبارك له في ثمنها قال أما سمعتم قوله ثم وضع الثمن وبارك فيها وقدر
فيها أقواتها وكيف يبارك لمن زال عن ملكه شيئا قد بارك الله فيه وحكى
أحمد من باع عقارا ولم يجعل ثمنه في مثله كان كرماد اشتدت به
الريح في يوم عاصف وقال إسماعيل بن صبيح لصديق له اتخذ

ضيعة تغنيك إذا خانك الأخوان وجفاك السلطان **وأنشد**
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر
وفي كتاب المنهج فلاح المعيشة في الفلاحة ومن نجاح المال
الطيار باعتقاد العقار ولابن بحارم من باع الماء واشترى الأماء
أخسر لصفقة من بيع العقار ويشتري العقار وعن أنس عن النبي
صلى الله عليه إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاغرسها والجاحظ
عن عبد الله بن سلام لا تدع غراس أرضك وإن سمعت أن الدجال يخرج
وقيل لحكيم أتغرس بعد الكبر فقال لأن توافيني الساعة وأنا من
المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين وقيل لأبي الدرداء
وهو يغرس جوزة أتغرسها وأنت شيخ وهي لا تطعم إلا في عشرين أو
ثلاثين سنة فقال وما علي أن يكون الأجر لي والثمر لغيري ومر
كسرى برجل وهو شيخ كبير يغرس فسيلة فقال له أترجو أن تأكل من
ثمرها فقال لا ولكني وجدت أرض الله عامرة فأحببت أن لا تخرب
على يدي ويقال إنه قال غرسوا فأكلنا ونغرس ويأكلون فقال كسرى
زه وأعطاه أربعة آلاف درهم فقال الشيخ إن الغرس يطعم في سبع سنين

وقد أطعم قبلي في يوم واحد فقال كسرى زه فأعطى أربعة آلاف
درهم أخرى. وسئل حبيب بن الأسود الثقفي أي المال أفضل
فقال عين خرارة في أرض خوارة فقيل ثم ماذا فقال الراسيات في الوحل
المطعمات في المحل الملقحات بالفحل يعني النخل. وقال الجاحظ ابن
الحلاج سيد يصلح المال ونعم مؤونة ويستعين بذلك على ما ينوبه من
الحق وهو القائل

أأنفق أموالي ولا يعرف ذو نسب من ابن عم ولا عم ولا خال
أي مكسب على الزوراء أعمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال
كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

وفي الكتاب المبهج

إذا ما نقل الدهقان غلات الدساكر فكم من لعنة بيضاء في سود الحوافر

ولمؤلف الكتاب

يا رب أنت وهبتها لي ضيعة أضحت تعين على الزمان بسرها
ورزقتني منها الجنة لا تلهني يا رب أنت بشكرها عن شكرها

ذم الضياع

قلت في الكتاب المبهج أن الضيعة

ظالم بعد ما لم تدبر بقوم شاعر وجد منا عليه. وفيه أيضا الضياع
مدارج الغموم وكتب وكلاهما مفاتح الهموم. وقلت أيضا في رقعة إلى
وكيل لي بضيعة. يا رقعة طويت على حيات وعقارب كدرن ما بحياتي

ما أنت إلا مدرج الجوى ومفاتح الأحزان والحسرات
وكأن أحرفك الكريهة أعين لم توقف أو ألسن ثابتات
وكذا الضياع رقاع قيمها إذا وافت أتت بحوادث الآفات

وذكرت الضياع وجلالتها ونوائبها بحضرة أبي العباس أحمد بن محمد بن
الفرات فأنشد هي المال إلا أن فيها مذلة فمن ذل فاستأهلها ومن باعها
وأنشدني أبو عمرو بن البحري لأبي منصور العبيدي ويروى لأبي محمد الساوي

قد كانت الضيعة فيما مضى تغل من يملكها دائبه
فصار من يملكها يومنا يجتهد في حفظها دائبه
تستغرق الغلة في خرجها وتفضل الكلفة والنائبه
فإن يقم صاحبها كل ذي نيخ وإلا ينتفوا شاربه

وقال آخر

قد قلت قولا سديدا ليروي العطاش بمائه
أن الخراج خراج ودواؤه في أدائه

وللقاضي التنّعاني

أحمد الله على أنه لم يبتلني بالماء والضيعة
فالماء يفني ماء وجه الفتى وصاحب الضيعة في الضيعة

مدح الدور والأبنية ١٣

كان يقال جنة الرجل داره. وذكر الأحنف الدور فقال تبنى أولاً يشترى وآخر ما يباع. وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني دارك قميصك فوسعه كيف شئت. وقيل لبعضهم ما السرور قال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء

وأنشدت

ومن المروة للفتى ما عاش دار فاخرة فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة

ولآخر في مثله

ومن المروة للفتى ما عاش دار خالية فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار العالية

وكان يقال دار الرجل عشه وفيها عيشه. وقال الثعالبي في كتابه نتف الظرف الدور للناس كالعشة للطير والأوجرة للوحش والجحرة للحيات والحشرات. غدا الرجل مأوى نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحوز ملكه ومأمن ضيفه وملتقى صديقه وعدوه ولا شيء أصعب

خروج ديار

على الناس من الخروج من ديارهم. وقد أخبر الله تعالى عن طايعهم بقال

قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فقرن الخروج منها بالقتل فقال ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم. وقال عز ذكره لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم. ثم قال بعقب هذه الآية إنما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم. وقال بعض الأشراف لابنه يا بني أثرك في هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع **قول الشاعر**

ليس الفتى بالذي لا يستضاء به ولا تكون له في الأرض آثار

وقول الآخر إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقال المتوكل لأبي العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا أمير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك. ومن أحسن ما قيل في بناء الملوك **قول علي بن الجهم**

وما زلت أسمع أن الملوك تبني على قدر أخطارها
فلما رأيت بناء الإمام رأيت الخلافة في دارها

ومن بعض شعر الصاحب في معنى قول **أبي العيناء**

ولي مسألة بعد تعاجلني بإخبار فبيت الدار في دنياك أم دنياك في الدار
وكان جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين الدنيا والبصرة
عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد ومن أحسن ما
سمعت في التهنئة بالدور قول أبي القسم الزعفراني للصاحب

بارك الله بالبناء الجديد بلت حالك الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنة الخلد في الدنيا فصلها وأختها في الخلود

ولمؤلف الكتاب في قصر الأخشيك

وقصر ملك ترى كل الجمال به وأسعد الدهر يبدو من جوانبه
كأنه جنة الفردوس إذ نزلت إلى خوارزم تعجيلا لصاحبه

ذم الدور والأبنية

فارق رسول الله صلى الله عليه الدنيا
وما وضع لبنة على لبنة وكان عليه السلم يقول إذا أراد الله تعالى
بعبد شرا جعل ماله في الماء والطين وكان يقال البناء يوم
ابتدائه في نقصان والعمر في زيادة ومر بعض الخوارج بدار تبنى فقال
من هذا الذي يقيم كفيلا وقيل ليزيد بن المهلب لم لا تبني دارا
بالبصرة قال لأني لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا فإن كنت أميرا فداري دار

الإمارة وإن كنت أسيرا فالسجن منزلي وقال عبد الله بن المعتز الدار
الضيقة العمى الأصغر ومن أحسن ما قيل في التبرم بالعمارة قوله

ألا من لنفسي وأحزانها ودار تداعت بحيطانها
أظل نهاري في شمسها شقيا لقيا لبنيانها
أسود وجهي بتبييضها وأهدم كيسي بعمرانها

مدح الحمام

قال بعض السلف نعم البيت الحمام ينقي
الدرن ويذكر النار وذكر الحمام عند أبي الفضل المرقاشي فقال نعم
البيت الحمام يذهب القشافة ويعقب النظافة وينفي التخمة ويطيب
البشرة وفي كتاب المبهج لمؤلف الكتاب الحمام زمام الحمام وصيقل
الأجسام ونظام النظافة ودافع آفة القشافة ولم يمدح أحد من
الشعراء الحمام كما مدحه ابن الرومي فإنه أحسن في وصفه وأبدع جدا في
مدحه حيث قال وهو يستدعي صديقا له إلى الحمام قبل الصبوح

أسعيد هل لك في زيارة منزل يثني عليك جوارح الزوار
بيت ترى الجدران فيه ينابعا وترى السماء كثيرة الأقمار
ينضو الحيي الوجه ثوب حيائه فيظل يخطر كالحسام العاري

تنقلبا في نعمة فضفاضة جعلت له عوضا من الاطمار
ما غاب البدر دون يوما فضله الا واحفظهم على احضار
ولربما استمتعت فيه بنزهة لولاه لم تبرز من الاستار
ملنا الى حر الصبوح وطيبه ان الصبوح مطية الاحرار
حتى اذا انعمت به اجسادنا وقضت به وطرا من الاوطار

وقال في مثل ذلك

قم بنا قبل غرة الاصباح وقيام السقاة بالاقداح
نتمشى الى النعيم الذي فيه صلاح الاجساد والارواح
بيت زيف تزدعينك فيه بين بيض الطلا وسمر القداح
وتلاقى الجسوم وخلع منه رقاق على الجسوم ملاح
فاذا ما صقلت جسمك فيه بالكف النعيم صقل الصفاح
قلت من نعيما لم غدا العيش غدوا امسا بلا اسرواح
تتروى من الصبوح وتقتض نسيم الرياح قبل الصباح

وقال

قد امكن الطالب مطلوب واشعه [illegible] المناجيب
فقم بنا نعم في نزل نعيمه الثابت محبوب

يشتري الريف رخيصا به كانه للرخص موهوب
بيت وبنية حماء الورى وسوى الى الحكمة منسوب
مجاوز النار ولكنه مجاور الروح به الطيب
جدوه الظل لاجسامنا والحر في الحمام تعذيب
طاب على تردد شباب امن لا تدنسنا به الشيب
كانه اذ ضحكت جدره من خالص الفضة مضروب
كان ما قبب في سقفه تحف من اللوز مكبوب
حتى اذا نلنا به لذة لين على من نالها حوب
ملنا الى شرب حلال لنا ان حلال الطلو مشروب

وقال مؤلف الكتاب

وحمام له حر الجحيم ولكن شابه روح النسيم
رأيت به ثوابا في عذاب ووزرت به نعيما في جحيم

ذم الحمام

قال بعض السلف بئس البيت الحمام يكشف عن العورة ويذهب بالحياء وفي الخبر ان الحمام من بيوت الشيطان ولما مدح الفضل الرقاشي الحمام كما تقدم ذكره قيل له ذمه فقال

يمثل الأعناز ويبهت الوفاد ويؤلف بين الأضداد ومن أبلغ
ما قيل في ذم الحمام **قول ابن المعتز**

ما الحمام جنة وما يصلح فيه غير بريد ما
وجدت في الصيف به رعدة فكيف أرجو غوثها في الشتا **وقول أيضا**
وحمامنا كالعجوز تشقى به الوارد فبيت له منتن وبيت له بارد

وللصنوبري

وحمامنا ليس فيه ماء وبرده ما له انقضاء ما ينفع القطف فيه شيئا ولا اللبابيد والفراء
تعدل في الصيف فيه بردا فصيف حمامنا شتاء فلا تزره لدفع داء هل ينفع الداء وهو داء

مدح المال ١٥

قد سمى الله تعالى المال خيرا في قوله كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت
إن ترك خيرا الوصية أي مالا وقال المفسرون في قوله تعالى وإنه لحب
الخير لشديد أي لحب المال ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه
كان يقول حبذا المال أصون به عرضي وأقرضه ربي فيضاعفه لي يريد
قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وروى
السدي عن ابن عباس في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم أي مالا إلى مالكم.

وكان يقال قد يشرف الوضيع بالمال والمال يحبب أهله إلى الحجبة لا
مجد إلا بمال ولا جد إلا بفعال الآمال متعلقة بالأموال **وقال أحد**
كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا النداء إذا ناديت يا مالي **وقول آخر**
شيئان يعجز ذو الدنيا بغيرهما المال يصلح منه الحال والولد
زين الحيوة هما لو كان غيرهما كان الكتاب به من ربنا يرد
يعني قوله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وكان يقال أصل السؤدد
والرياسة المال وبه تستجمع أسبابهما وتطرد أحوالهما وعند انقياد
الناس قديما وحديثا للغني ولذلك حكى الله تعالى في أمر طالوت عن
نكيرهم عليهم فقال إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له
الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وقلت
في الكتاب المبهج أموالك كالآمال القلوب تستمال بمثل المال العرض هو
الغرض والمال هو المآل ومن أصلح المال فقد حصل بقاء العرض وحصن
بقاء العز مال المرء مؤيده وقوته قوته

ذم المال

كان يقال المال ملول المال
ميال غاد ورائح وطبع المال كطبع الصبي لا يوقف على وقت رضاه

وتغطيه المال لا ينفعك ما لم تبادره قد يكون مال المرء سبب
حتفه كما أن الطاووس قد يذبح لحسن ريشه ومن أحسن ما قيل في هذا
المعنى قول ابن الرومي

ألم تر أن المال يهلك ربه إذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمه وسد طريق الماء فهو غريقه

مدح الغنى ١٦

قلت في الكتاب المبهج لو لم يكن
في الغنى إلا أنه من صفات الله لكفى به فضلا ومن أبلغ ما قيل في مدح
الغنى وتفضيله على النسب قول ابن المعتز

إذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم

وفي الكتاب المبهج الغنى مجل مبجل والفقر مذل مبتذل وبيت
لأبي الأسود الدؤلي في حارثة بن بدر الغداني

أحار بن عمرو قد وليت ولاية فكن جرذا فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئا أصبته فحظك من ملك العراقين سرق
وباه تميما بالغنى إن للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق

ولغيره ألم تر أن الفقر يهجر بيته وبيت الغني يهدى له ويزار

ذم الغنى

قال الله تعالى إن الإنسان ليطغى أن
رآه استغنى وقال عز من قائل إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال
سبحانه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر
فذو دعاء عريض وقال بعض المفسرين في قوله تعالى سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون كلما جددوا لله معصية جددنا لهم نعمة يستدرجهم بها
وكان يقال الغنى يورث البطر وغنى النفس أفضل من غنى المال ويجاد
قول محمود الوراق في هذا الباب

لا تشعرن قلبك حب الغنى إن من العصمة أن لا تجد
كم واجد أطلق وجدانه عنانه في بعض ما لم يرد
وكم من الحرمان عاد على سماع عود وغناء غرد
لو لم يجد خمرا ولا مسمعا يرتد بالماء غليل الكبد
وكم يد للفقر عند امرئ طامنه الفقر حتى اقتصد

مدح الفقر ١٧

كان يقال الفقر شعار الصالحين
والفقر لباس الأنبياء وفي ذلك يقول البحتري

فقد كفقد الأنبياء وغربة وصبابة ليس البلاء بواحد ۝ وقال
بعض الحكماء الفقير مخف والغني مثقل والفقير أقل عدوا من الغني
وكان سفين الثوري يقول الصبر على الفقر يعدل الجهاد في سبيل
الله ومن أحسن ما قيل في مدح الفقر قول أبي العتاهية

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وقول محمود الوراق

يا عائب الفقر ألا تزدجر عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الغنى لو صح منك النظر
أنك تعصي الله تبغي الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر

ذم الفقر

كان يقال الفقر مجمع العيوب الفقر
أكبر البلاء الفاقة الموت الأكبر كاد الفقر أن يكون كفرا ۝ وكان
شعيب بن عبد العزيز يقول ما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر ۝ وفي
فصول ابن المعتز لا أدري أيهما أمر موت الغني أم حياة الفقير ۝ وفي
كتاب المبهج لا فاقة كالفقر الفقر في الأذن وقر وفي الجد عقر
وفي القلب نقر وفي الجوف بقر وينشد

إذا قل مال المرء قل حياؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وقال صالح بن عبد القدوس

بلوت أمور الناس ستين حجة وجربت صرف الدهر في العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقال أبو حمد التمامي

غالبت كل شديدة فغلبتها والفقر غالبني فأصبح غالبي
إن أبده أفضح وإن لم أبده أقتل فقبح وجهه من صاحب

مدح القناعة ١٨

ابن عباس في قوله تعالى فلنحيينه
حياة طيبة قال القناعة ۝ وقال بعض الحكماء لابنه يا بني إن العبد
حر إذا قنع والحر عبد إذا طمع ۝ وكان يقال أنت عزيز ما التحفت
بالقناعة ۝ وقال بعضهم من لم يقنع باليسير لم يكتف بالكثير ۝ وقال
آخر القانع بما قسم له في حدائق النعيم ۝ وأخفض الخفض رضى المرء بحظه
ومن فصول ابن المعتز أعرف الناس بالله أرضاهم بما قسم له ۝ من تمسك
حاله عند أهل طبقته وحسبت القناعة على عقله ۝ من قنع بحاله استراح
وراح وينشد لأبي العتاهية

إن كان لا يكفيك ما يكفي فما لغناك حد أهون عليك فليس كل الناس يعطى ما يود

ولغيره: إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

ذم القناعة

قال بعض المهالبة: من اتخذ القناعة بضاعة تلحقه بالخمول وفاته معالي الأمور. وقال غيره: القناعة من أخلاق العجائز والدين العاجز، والبركات في الحركات. وقال آخر لابنه: يا بني اعلم أن القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف العزيمة، فلا ترض لنفسك إلا بكل غاية. وقال البرقعي من قصيدة له:

أرى عزماتي وفرط انكماشي وطول التململ فوق الفراش
فقالت أراك أخا همة تشتتها فترى ذا انتعاش
فهلا قنعت ولم تغترب فقلت القناعة طبع المواشي

وقال رجل لمعروف الكرخي: يا أبا محفوظ، أتحرك في طلب الرزق أم أجري في طريق القناعة؟ فقال: تحرك، فإن الله عز وجل قال لمريم: وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، ولو شاء الله أن ينزله عليها من غير أن تسعى في هز النخلة لفعل. وقد نظم هذا المعنى من قال:

ألم تر أن الله قال لمريم وهزي بجذع النخل تساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب

[illegible]

مدح القلة ١٩

سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال له: ما هذا الدعاء؟ فقال: سمعت الله تعالى يقول: وقليل ما هم، وما آمن معه إلا قليل، وقليل من عبادي الشكور. وقال بعض العلماء: إن الكثرة ليست بممدوحة في كتاب الله، وإنما الممدوحون هم الأقلون، ألا ترى أن الله تعالى يثني على أهل القلة ويمدحهم ويذم أهل الكثرة ويجهلهم، حيث يقول عز من قائل: ثم توليتم إلا قليلا منكم، ويقول: فشربوا منه إلا قليلا منهم، ويقول: لاتبعتم الشيطان إلا قليلا، ويقول حكاية عن إبليس: لأحتنكن ذريته إلا قليلا، ويقول جل جلاله في ذم الكثرة: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا، ويقول: بل أكثرهم لا يؤمنون، ويقول: ولكن أكثر الناس لا يشكرون، ويقول: منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، ويقول: وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، ويقول: وأكثرهم لا يعقلون، ويقول: ولكن أكثرهم يجهلون، ويقول: وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين. وقال الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل. وقالت

المقلاتية كل شيء عدو الطبيعة. وقالت الأطباء الإقلال مما يضر خير من الإكثار مما ينفع

وقال إسحق الموصلي

هل إلى نظرة إليك سبيل … فيروى الظما ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندي … وكثير ممن تحب القليل

وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه لا تستحيي من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه

ذم القلة

كان يقال الذلة في القلة والثروة في الشرف. وكان قيس بن سعد بن عبادة يقول اللهم إنك تعلم أن القليل لا يسعني ولا أسعد فأكثر لي ووسع علي. وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول … على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه … وكل فوائد الدنيا قليل

وقال السري الموصلي

نبلت على الدعم نيل البخيل … وقلت قليل أتى من قليل

عجبت لما اشتدا بالجميل … وما كان يعرف فعل الجميل

وأطلعه كوكبا كالشهي … قليل الضياء سريع الأفول

فما كان إعطاؤه سؤددا … ولكنه غلطة من بخيل

مدح اللسان ٣٠

كان يقال ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة. وقال بعض حكماء العرب المرء بأصغريه قلبه ولسانه إن نطق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجنان. وكان يقال المرء مخبوء تحت لسانه. وقال بعض البلغاء اللسان فضائل معدومة في الجوارح ودرجة عالية درجاتها لما خص الله به من النطق والبيان وأنطقه بالذكر والقرآن. وقال الجاحظ اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يعبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تدرك به الأشياء وواعظ ينهى عن القبيح ومعز يرد به الأحزان ومعتذر يذهب بالضغينة وملهٍ يونق الأسماع وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومونس يذهب الوحشة. وينشد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده … فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكاين ترى من صامت لك معجب … زيادته أو نقصه في التكلم

ومن أحسن ما قيل في مدح اللسان قول أبي نعيم بن نشاه الأصفهاني
في أبي مسلم محمد بن بحر

لسان محمد أمضى غرارا وأنفذ من شبا السيف الحسام
إذا ارتجل الخطاب بدا خليج بفيه يمده بحر الكلام
كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حب الغمام

ذم اللسان

كان يقال مقتل الرجل بين فكيه وقال بعض بلغاء الحكماء اللسان أجرح جوارح الإنسان وقال آخر اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وكان ابن مسعود يقول والذي لا إله غيره ما على وجه الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان وقال بعض العرب لرجل وهو يعظه في حفظ لسانه إياك أن يضرب لسانك عنقك وقال أبو محمد اليزيدي

حتف الفتى لسانه في جده أو لعبه بين اللها مركبه ركب في مركبه

وقال آخر

أيا رب ألسنة كالسيوف تقطع أعناق أصحابها
وكم دهي المرء من نفسه فلا تؤكلن بأنيابها

ومن أبلغ ما قيل في عي اللسان

بين فكيه لسان يسبب الحين إليه تعاذا ما شاء قولا عي القول عليه
فسواء هو في فيه ولحم في يديه

فإذا حاول قولا

مدح الصمت ٢١

من حكم لقمان الصمت حكم وقليل فاعله وكان يقال الصمت ينفع الناس والطير لأن الطير إذا صفر صيد وقال بعض السلف الندم على الصمت خير من الندم على القول ومن فصول ابن المعتز آخاف الكلام أجازه الصمت ومنها وعاء الخطايا بالصمت يختم ويقال إن أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحد وقال كسرى لم أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإذا لم أتكلم بها ملكتها وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت ضرته وإن لم ترفع لم تنفعه وكان يقال من علامات العاقل حسن السمت وطول الصمت وقال بعض الحكماء من سكت فسلم كان كمن قال فغنم

ذم الصمت ٢١

قال رجل بين يدي عمر بن الخطاب الصمت مفتاح السلامة فقال نعم ولكنه قفل الفهم وكان يقال كل

من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن ولم كل من سكت فأحسن قدر أن
يتكلم فيحسن. وقال بعض الفلاسفة الصمت نتيجة الموت كما أن النطق
نتيجة الحياة. وقال النبي صلى الله عليه تكلموا تعرفوا. وقال الله تعالى
حكاية عن يوسف والملك فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ولم
يقل فلما سكت عنده. وقال بعض الحكماء إنك تمدح الصمت بالنطق
ولا تمدح النطق بالصمت وما عبر عن شيء فهو أفضل منه. وقال آخر
أحرى الله الساكتة فما أسوأ آثارها على اللسان وأجلبها للعي والحصر
وكان يقال اللسان عضو فإن مرنته مرن وإن تركته حرن.

مدح الصبر ٢٢

قال الله عز من قائل يا أيها الذين
آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة إن الله مع الصابرين. وقال تعالى
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا. وقال جل جلاله وبشر الصابرين
الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. وكان الحسن
البصري يقول أي لا عجب ممن خف كيف خف بعد هذه الآية
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع

فرعون وقومه وما كانوا يعرشون. وقال عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على
عبد نعمة فانتزعها منه ثم عاضه عنها الصبر إلا ما كان ما عاضه عنه أفضل
مما انتزعه منه ثم قرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. وقال
غيره قد جعل الله لكل ضرب من الأجر والثواب حسابا معدودا وحدا
محدودا إلا الصبر فإنه جعل أجره بلا حساب. وكان يقال إن كان الصبر
مرا فعاقبته حلوة. وقال بعض الحكماء الصبر صبران صبر على ما تحب
وصبر على ما تكره والرجل من جمع بينهما. وقال آخر من تبع الصبر تبعه
النصر. وفي كتاب المبهج الصبر أحجى بذوي الحجى. وقال الشاعر

ما أحسن الصبر في مواطنه والصبر في كل موطن حسن

وقال علي بن الجهم

وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل

ذم الصبر

الصبر كاسمه الصبر تجرع الغصة
وانتظار الفرصة. قال الشاعر

وأني لأدري أن في الصبر راحة ولكن إنفاقي على الصبر من عمري
يقولون إن الصبر للحمد غبة فقلت لهم ليس التصبر من أمري

وقال البرقعي
من حمد الصبر وجا لانه فلست بالحامد للصبر
كم جرعة للصبر جرعتها أمر في الذوق من الصبر
صبرت حتى قيل لي جاهل لا يعرف الخير من الشر
أي إذا الدهر نبا نبوة أصبر للدهر من الدهر

وقال أبو القاسم بن علاء الأصفهاني
فإن قيل لي صبرا فلا صبر للذي غدا بيدي الأيام تقتله صبرا
وإن قيل لي عذرا فوالله لا أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

مدح الحلم

كان يقال الحلم حجاب الآفات وقال بعض الحكماء حلم ساعة يرد سبعين آفة وقال بعض السلف الحلم أجل من العقل لأن الله تعالى وصف نفسه به وكان يقال حسب الحليم أن الناس أنصاره ومن ملك غضبه أجتر من عدوه وكان الحسن البصري يقول ما نعت الله تعالى نبيا من أنبيائه أقل مما نعتهم من الحلم فإنه قال إن إبراهيم لحليم يعني أن الحلم في الناس عزيز وكان يقال ما أضيف شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم وكان الأحنف يقول من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ومن أحسن ما قيل في

الحلم قول الشاعر
إن يبرز الجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مشرقة لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

ذم الحلم

كان يقال من عرف بالحلم كثرت الجرأة عليه وقال بعض السلف الحلم ذل كله وقال السفاح إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال الشاعر
أرى الحلم في بعض المواطن ذلة وفي بعضها عزا يسود فاعله

وقاتل الأحنف قتالا شديدا في بعض المواطن فقال له رجل أين الحلم يا أبا بحر فقال عند الحبا وكان يقال آفة الحلم الضعف ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول النابغة الجعدي
ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له أديب إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال محمد بن وهيب
لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني معوج

وأحسن ما سمعت في ترك الحلم بعد الاعتذار **قول حسن بن الضحاك**

أتاني منك ما ليس على مكروهه صبر ، فأغضيت على عمد وقد يغضي الفتى الحر
وأدبتك بالهجر فما أدبك الهجر ، ولا ردك عما كان منك الصفح والزجر
فلما اضطرني المكروه واشتد بي الأمر ، تناولتك من شعري بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل لما مسك الضر ، إذا لم يصلح الخير امرءا أصلحه الشر

ومن قول الأول وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

مدح المشورة

كان الحسن البصري يقول إن الله عز اسمه لم يأمر نبيه صلى الله عليه بمشاورة أصحابه لحاجة منه إلى رأيهم إنما أراد أن يعلمنا ما في المشورة من الفضيلة حيث قال وشاورهم في الأمر وقال تعالى حكاية عن بلقيس ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قال الأصمعي قلت لبشار بن برد يا أبا معاذ والله ما سمعت في المشورة أحسن من قولك

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

فقال إن المشاور بين إحدى الحسنيين صواب ثمرته أو خطاء يشارك

في مكروهه فقلت له أنت والله في هذا الكلام أشعر منك في شعرك وقال الجاحظ المشورة لقاح العقول ورائد الصواب والمستشير على طرف النجاح واستشارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير وقد أمر الله تعالى بالمشورة أكمل خلقه لبابة وأولاهم بالإصابة فقال لرسوله الكريم في كتابه الحكيم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله وكان يقال إذا شاورت عاقلا صار نصف عقله لك ، وقال العتابي المشورة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه ، وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك ، ومن أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطاء عاذرا ، وفي كتاب المبهج ثمرة رأي الأديب المشير أحلى من أري المشور

ذم المشورة

كان عبد الملك بن صالح الهاشمي يذم المشورة ويقول ما استشرت أحدا قط إلا تكبر علي وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة ، فإياك والمشورة وإن ضاقت بك المذاهب واشتبهت عليك المسالك وأداك الاستبداد إلى الخطأ الفادح ، وكان عبد الله بن طاهر يقول ما حك ظهري مثل ظفري ولأن أخطي مع الاستبداد ألف خطاء أحب من أن أستشير

فالحظ بعين النقص والحاجة

مدح التأني ٢٥

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة. وقال بعض العلماء ينبغي للوالي أن يتثبت في كل ما ينهى إليه ويتأنى ولا يعجل حتى ينظر ويتبين الحال فيه ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام حيث قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين وفي الخبر ألا إن التأني من الله والعجلة من الشيطان. وكان يقال الأناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة. وقال بعضهم التأني مع الخيبة خير من التهور مع النجاح. وقال آخر التأني في الأمور أول الحزم والتسرع إلى الخطاء عين الجهل. وكان يقال اتئد تصب أو تكد. وقال النابغة الذبياني

الرفق يمن والأناة سعادة ... وتأن في أمر تلاق نجاحا

وقال القطامي وهو من الأمثال السائرة

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون من المستعجل الزلل

ذم التأني

كان يقال إياكم والتأني في الأمور فإن الفرص تمر مر السحاب. وقال ابن عائشة القرشي الملك أحذر من

أن يحمد معه التأني والتثبت. وخير الخير أعجله. وكان يقال الآفات في التأخيرات. وقيل لأبي العيناء لا تعجل فإن العجلة من الشيطان فقال لو كانت من الشيطان لما قال كليم الله موسى وعجلت إليك رب لترضى. وقال القطامي بعد قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته

وربما فات قوما بعض نجحهم ... مع التأني وكان الرأي لو عجلوا

وأحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي

عيب الأناة وإن كانت مباركة ... أن لا خلود وأن ليس الفتى حجرا

وقال ابن المعتز ما أحسن كل الإحسان

وإن فرصة أمكنت في العدى ... فلا تبد فعلك إلا بها
وإياك من ندم بعدها ... وتأميل أخرى وأنى بها

وقال محمد بن بشير من ثقفه

كم من مضيع فرصة قد أمكنت ... لغد وليس غد له بمواتي
حتى إذا فاتت وفات طلابها ... ذهبت عليها نفسه حسرات

مدح الوحدة والعزلة ٣٦

كان يقال الوحدة خير من جليس السوء ومن لزم الخلوة فقد حصل في العيش الأمتع والحمى الأمنع. وقال الشاعر

كن لقعر البيت جليسا وارض بالوحدة أنيسا لست بالواجد خلا أو ترد اليوم أمسا

وأنشدني أبو نصر الوانبسطي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت في وحدتي لكتبي جليسا

إنما الذل في مخالطة الناس فدعها وكن كريما رئيسا

ليس شيء أجل عندي من العلم فلا أبتغي سواه أنيسا

وكان يقال العزلة عن الناس توفر العرض وتبقي الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤنة المكافاة في الحقوق اللازمة ۞ وكان مكحول يقول إن كان الفضل في الجماعة فإن السلامة في العزلة ۞ ومن أحسن ما قيل في هذا الباب **قول منصور بن إسمعيل الفقيه المصري**

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينة وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة

وأنشدني أبو الفتح البستي لأبي سليمان الخطابي

فقد ولع الناس بالتلاقي والمرء صب إلى مناه

وأما منهم صديقي من لا يراني ولا أراه

وأنشدني أيضا لنفسه

إذا خلوت صفا ذهني وعارضني خواطر كالبرق إذ البرق في الظلم

وإن تولى صياح الناعقين على أذني عرتني منه حملة العجم

ومن أحسن ما قيل في الانفراد **قول أبي هفان**

إن أمس منفردا فالليث منفرد والبدر منفرد والسيف منفرد

ذم الوحدة والعزلة الوحدة وحشة الوحدة قبر الحي ۞ وفي الخبر الشيطان مع الواحد وهو عن الاثنين أبعد ۞ ويد الله على الجماعة ۞ ومما يتمثل به من شعر حاتم الطائي **قوله**

إذا لزم الناس البيوت رأيتهم عماة عن الأخبار خرق المكاسب ۞ وكان يقال إياكم والعزلة فإن في ملاقاة الناس معتبرا نافعا ومتعظا وانتفاعا ومخالطة الناس تجلو البصر وتطرد الفكر ۞ وقال بعض الحكماء إياكم والخلوات فإنها تفسد العقول وتعقد المحلول ۞ وقال آخر البيت رمس ما لم تزره والهم زمانة ما لم تبطنه **ولأبي تمام في معناه بعينه**

وكذاك الهم كالزمانة والبيت إذا ما لزمته رمس

مدح الشجاعة في الخبر أن الله عز اسمه يحب الشجاعة ولو على حية أو عقرب ۞ وكتب أنوشروان إلى بعض مرازبته عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل الظن بالله ۞ وكان يقال

الشجاع موقى والجبان ملقى والشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى اهله ❀ وقال بعض الحكماء قوة النفس ابلغ من قوة الجسد

وقال الشاعر

يفر الجبان عن ابيه وامه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

ولما قال ابو الطيب المتنبي

يرى الجبناء ان الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له انى يكون الشجاع حكيما والشجاعة والحكمة في طرفي نقيض فقال هذا علي بن ابي طالب

ذم الشجاعة

رئي شيخ كبير في بعض الحروب وقد تاخر عن الصف واستعد للهرب فقيل له نراك غير شجاع فقال لو كنت شجاعا ما بلغت هذه السن وكان يقال ما في الدنيا شجاع الا متهور ولا جبان الا متحرز ❀ وقال بعض الجبناء من اراد السلامة والبقاء فليدع الشجاعة ❀ وقال آخر قد جزاه الله خيرا من قتل رحمه الله ❀ وكان يقال الفرار في وقته ظفر وقال بعضهم الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح البؤس ❀ ومن احسن ما قيل

هذا الباب على اثره قول محمد بن ابي حمزة العقيلي مولى الانصار

طالت تشجعني هند وقد علمت ان الشجاعة مقرون بها العطب
يا هند لا والذي حج الحجيج له ما يشتهي الموت عندي من له ارب

مدح الجود

في الخبر ان الله جواد يحب كل جواد وفيه الجود من اخلاق اهل الجنة ❀ وقال بعض الحكماء الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود ❀ وقال آخر الجود اشرف الاخلاق وانفس الاعلاق ❀ وقال ابن المعتز الجود حارس العرض من الذم ❀ وقال ايضا ان الله ممتحن بالجود عليك الجود منك فخذ من جوده واستفد بافضالك من فضله ❀ وقال ايضا الاسخياء يتقيدون الملك والبخلاء يتقيدهم الملك وقال بعض السلف لو كان شيء يشبه الربوبية لقلت الجود وقلت في كتاب المبهج الجود ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا وكان يقال من جاد ساد ومن بخل رذل ❀ وقال عمر بن الخطاب السيد الجواد حين يسأل ❀ وقال علي بن عبد الله سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء

ذم الجود

قال بعض الحكماء من جاد بماله فقد جاد بنفسه لانه قد جاد بما لا قوام

لها للابة ﴿ وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لا تجاودوا الله فإنه أجود وأمجد
ولو شاء أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل ﴿ وكان يقول
لو جدنا على المساكين بإعطائهم ما يسألونا لكنا أسوأ حالًا منهم ﴿ وكان
علي بن الجهم يقول من وهب المال في علته فهو أحمق ومن وهبه بعد العزل
فهو مجنون ومن وهبه فهو جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه
فهو مخذول ومن وهبه من كسبه وما استفاده بحيلته فهو المطبوع على
قلبه المأخوذ ببصره وسمعه ﴿ وكان محمد بن الجهم يقول اتركوا الجود
للملوك فإنه لا يصلح إلا لهم ولا يليق إلا بهم ومن عارضهم في ذلك فافتقر
وافتضح فلا يلومن إلا نفسه ﴿ وكان ابن المقفع يقول إن مالك لا
يعم الناس فاخصص به ذوي الحق ومن أحسن ما قيل في هذا الباب

قول ابن المعتز

يا رب جود جر فقر امرئ فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه فالبخل خير من سؤال البخيل

وقول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

في كل شيء سرف يكره حتى في الكرم ﴿ ورب ألوى لا أفضل من ألف نحر

وكان الكندي يقول قول لا يدفع البلاء وقول نعم يزيل النعم ﴿

مدح البخل ٣٩

من أمثال العرب الشحيح أعذر من الظالم
ومن أمثال العجم منع الجميع أرضى للجميع ﴿ وكان يقال إذا قبح السؤال
حسن المنع ﴿ وقال بعضهم عجبت لمن يسمي القصد بخلًا والسرف جودًا
وقال آخر حفظ ما في يدك أحسن من طلب ما في أيدي الناس من الفضل

القصد ضد الإفراط

وقال صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء في غير حق ليس في منع غير ذي الحق بخل

وقال المتلمس

حفظ المال أيسر من بغاه وسعي في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

ذم البخل

كان الشعبي يقول ما أفلح بخيل قط
أما سمعتم قول الله عز ذكره ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبي بلغني أنك متلاف فقال يا أمير
المؤمنين منع الجود سوء ظن بالمعبود ﴿ وهو تعالى يقول وما أنفقتم من
شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴿ وكان يقال البخيل أبدًا ذليل

وقال بعضهم لا مروءة لبخيل ۝ وقال آخر شر أخلاق الرجال البخل والجبن
وهما من خير أخلاق النساء ۝ وقال الجاحظ البخل والجبن غريزة واحدة
يجمعهما سوء الظن بالله ۝ وقال غيره البخل يهدم مباني الكرم ۝ وقال ابن
المعتز بشر مال البخيل بحادث أو وارث ۝ وقال أيضا أبخل الناس بماله
أجودهم بعرضه ۝ وقال: وغيظ البخل على من يجود أعجب عندي من بخل ۝ و
وقال آخر لا يسود امرؤ بخيل ولو مشى بيافوخه عنان السماء ۝ وقال
بعض السلف لو لم ينطق القرآن في ذم البخل إلا بقوله تعالى ولا
يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة لكان فيه أبلغ البلاغ في تهجينه وأنهى النهي عن
إيثاره فكيف وقد قال عز ذكره في ذم البخلاء أيضا وتوبيخهم الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ۝ وابن مسعود
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال يطوق ثعبانا فينقر رأسه ثم
ينطوي في عنقه فيقول أنا مالك الذي بخلت به ۝ وقال بعضهم قد ذم
الله من يمنع خيره ويأمر بالبخل غيره فإياك أن تكونه

مدح الحقد ٣٠

قال يحيى بن خالد البرمكي لعبد الملك

بن صالح الهاشمي في كلام جرى بينهما أنت حقود فقال إن كنت تريد بقاء الخير
والشر عندي فأنا كذلك ويقال إنه قال له أنا خزانة تحفظ الخير والشر فقال
يحيى هذا والله جبل قريش ما رأيت أحدا امتدح الحقد وحسنه غيره فأخذه
ابن الرومي وزاد فيه وحسنه وجوده فقال

وما الحقد إلا توأم الشكر للفتى ... وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع ... من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

ذم الحقد

كان يقال الحقد داء دوي ۝ وقال
بعضهم من كثر حقده دوي جوفه ۝ وقال آخر الحقد مفتاح كل شر
وقال آخر حل عقد الحقد ينتظم لك عقد الود ۝ وكان يقال الحقود
والحسود لا يسودان وقال الشاعر

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من غم العداوات

مدح الحياء ٣١

في الخبر الحياء شعبة من الإيمان ۝ وفيه
أيضا الحياء خير كله ۝ ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح
فافعل ما شئت وقال الشاعر

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فافعل ما تشاء

فلا وأبيك ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء ۞ وفي
الخبر ان الله يحب الحيي المتعفف ويبغض البذيء الملحف ۞ وقال بعض
الحكماء الحياء سبب كل جميل ۞ وقال آخر من كساه الحياء ثوبه
ستر عن العيون عيبه ۞ وقال بعضهم ان الحياء والايمان مقرونان
في قرن فاذا ارتفع احدهما ارتفع الآخر ۞ وقيل لابنة ارسطاطاليس ما
احسن ما في المرأة قالت الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء ۞ وقال بعض
الحكماء احيا الناس من كان الذم اشد عليه من الفقر

ذم الحياء

كان يقال الحياء يمنع الرزق ۞ وقال
بعض الحكماء قرنت الخيبة بالهيبة والحياء بالحرمان ۞ وفي امثال
العامة من استحيا من ابنة عمه لم تولد له ۞ وقال بعض الحجازيين استعينوا
على حوائجكم بالوقاحة والابرام ۞ وقال غيره هذا زمان يكون عند نبت
الوقح المبرم ينجح فيه ويخيب الحيي وقال الشاعر

ليس للحاجات الا من له وجه وقاح ولسان ذو فضول وغدو ورواح

مدح الاخوان والاصدقاء ٣٢

في الخبر المرفوع المرء كثير باخيه
وكان يقال الرجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين ۞ وقال بعض

البلغاء من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا ۞ وكان يقال اعجز الناس
من فرط في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع ما ظفر به منهم ۞ وقال المغيرة
بن شعبة التارك للاخوان متروك ۞ وقال شبيب بن شيبة عليك بالاخوان
فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء ۞ وقال الكندي الصديق انسان هو
انت الا انه غيرك ۞ وقال ابو نهيك بن صبيح الود اعطف من الرحم ۞ وقال
العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب ۞ وقال ابن عائشة مجالسة الاخوان
مسلاة للاحزان ۞ وقال سعيد بن مسلم ان في لقاء الاخوان لغنما وان قل
وقال سليمان بن وهب غزل المودة ارق من غزل الصبابة والنفس بالصديق
آنس منها بالعشيق ۞ وقال يونس النحوي ليس تنحسر الصحة عن كل احد الا عن
الصديق ۞ وقال احمد بن يوسف من كثر اصدقاؤه ركب اعناق اعدائه ۞ وقال
المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه ابدا وطبقة
كالدواء يحتاج اليه احيانا وطبقة كالداء لا يحتاج اليه بحال ۞ وقال
ابن المعتز اذا قربت المودة تشبهت بالقرابة وقال القطامي

واذا يصيبك والحوادث جمة حدث حداك الى اخيك الاوثق

وقال آخر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن اخوان الثقات الذخائر

وقال أبو تمام

ذو الود مني وذو القربى بمنزلة وإخوتي أسوة عندي وإخواني
عصابة جاورت آدابهم أدبي فهم وإن فرقوا في الأرض جيراني
أرواحنا في مكان واحد وغدت أجسادنا بشآم أو خراسان

فصل من كتاب المبهج لمؤلف الكتاب يقع في هذا الباب: الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث العينين. الصديق الصدوق كالشقيق الشفيق. الصديق عند الصديق عدته وعقدته وربيعه وزهرته ومشتريه وزهرته. قربة الوداد من لحمة الولاد. لقاء الخليل شفاء الغليل. وليس للصديق إذا حضر عذلك ولا منه إذا غاب ثلبك. مثل الصديق كاليدين وكالعين تستعين بالعين. لقاء الصديق روح الحياة وفراقه سم الحيات. لا تباع مرارة الحياة إلا بحلاوة الإخوان الثقات. أن تروح من غمة الزمان بمناسمة الخلان. الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين.

ذم الإخوان والأصدقاء

قال عمرو بن العاص من كثر إخوانه كثر غرماؤه وعني في قضاء الحقوق. وقال عمرو بن مسعدة العبودية عبودية الإخاء لا عبودية الرق. وقال إبراهيم بن العباس مثل الإخوان

كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار. وقال الكندي لابنه يا بني الأصدقاء هم الأعداء لأنك إذا احتجت إليهم منعوك وإذا احتاجوا إليك سلبوك أو ثلبوك. وكان بعضهم يقول في دعائه اللهم اكفني من أصدقائي فإذا قيل له في ذلك قال أنا لا أقدر على التحرز من أصدقائي. وقال ابن المعتز إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضها بعضاً. وقال أيضاً إنما تطيب الدنيا بمساعدة الإخوان وتقع بعضهم بعضاً فتقلب الصداقة العداوة وما أهونها إذا كانت تنقطع في الآخرة ولا تتصل بما أحب في الدنيا. وقال أبو العتاهية

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه فإذا احتجت إليه ساعة مجك فوه

وقال إبراهيم بن العباس

نعم الزمان زمان الشأن في الإخوان
فبمن ترى ماني لما رأى الزمان رماني
لو قيل لي خذ أماناً من أعظم الحدثان
لما طلبت أماناً إلا من الإخوان

وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال ابن المعتز

وأفردني عن الإخوان علمي بهم فبقيت مهجور النواحي

إذا ما قلّ وفى قلّته حيّ وإن أثريت عاد دواء أسد مزحي
وكم ذمّ لهم في جنب ملح وحمد بين أثناء المزاح

وقال آخر
أخ من شئت ثم رُم منه شيئًا تلقه من دون ما أردت الثريا

ملح المزاح ٣٣

كان النبي صلى الله عليه يمزح ولا يقول إلا حقًّا، وكان ابن عباس يقول مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار المزح سنّة، ومن مزحه أنه كسا امرأة من نسائه ثوبًا فقال البسيه واحمدي الله وجرّي ذيل العروس، وقيل لسفيان بن عيينة المزاح هجنة فقال بل سنّة ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه، وكان علي بن أبي طالب فيه دعابة، وكان يقال المزح في الكلام كالملح في الطعام ونظمه أبو الفتح فقال

أفد طبعك المكدود بالهمّ راحة تراح وعلّله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وكان يقال الإفراط في المزح مجون والاقتصاد فيه ظرافة والتقصير فيه فدامة، وعن عطاء بن السائب قال كان سعيد بن جبير لا يقصّ علينا إلا أبكانا بوعظه ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه

كتابخانه مجلس شوراى ملى ١٣٠٢

ذمّ المزاح

قال بعض حكماء العرب المزاح يذهب المهابة ويورث الضغينة، وكان يقال المزاح سباب النوكى، وقال بعضهم المزاح يجلب الشرّ صغيره والحرب كبيره، وقال آخر المزح أوّله فرح وآخره ترح، وقال آخر لو كان المزح فحلًا لم ينتج إلا شرًّا، وقال آخر المزاح هو السباب الأصغر إلا أن صاحبه يضحك، وقال ابن المعتز المزح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب، وقال أيضًا من كثر مزحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه، وقال أيضًا ربّ مزح في غوره جدّ

وقال أبو نواس
صار جدًّا ما مزحت به ربّ جدّ جرّه اللعب

وقال أيضًا
أبدًا يا ربّ قدح القادح وأيّ جدّ بلغ المازح

ملح العتاب ٣٤

قال بعض البلغاء العتاب حدائق المتحابين وثمار الأوداء ودليل على الظنّ بالأخوّة، وكان يقال ظاهر العتاب خير من باطن الحقد، وقال بعضهم من لم يعاتب على الزلّة فليس بحافظ للخلّة، وقال الشاعر

أعاتبكم يا أمّ عمرو بحبّكم ألا إنما المقلي من لا يعاتب

وقال آخر
ترك العتاب إذا استحقّ أخ منك العتاب ذريعة الهجر

وقال ابن المعتز العتاب حبوة المودة ، وقال من كثر حقده قل
عتابه ، وما اكثر من يعاتب لتطلب علة للعقوق ، وقال غيره
اذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقي العتاب ، وقال آخر
أبلغ أبا جعفر عني مغلغلة ... وفي العتاب حياة بين أقوام

ذم العتاب

قال بعضهم كثرة العتاب يورث
الضغينة ويولد البغضة ، وقال آخر كثرة العتاب داعية الاجتناب
وقال الشاعر
أن بعض العتاب يدعو الى البغض ... ويؤذي به الحبيب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر العطف ... فلن يعطف العتاب القلوبا
وقال آخر
فدع العتاب فرب شر ... هاج أوله العتاب
وقال آخر
اذا ما كنت منكر كل ذنب ... ولم تجمل اخاك عن العتاب
تباعد من تعاتب بعد قرب ... وصار به الزمان الى اجتناب
وقال ابن المعتز لا تعاتب الصديق لأدنى سبب واخفى شيء تعلق
بالظن فان ذلك يدل على وهن مودتك له وضعف ثقتك به

مدح العتاب ٣٥

أحسن ما قيل في مدح العتاب قول
أبي تمام
يا أيها الملك النائي برؤيته ... وجوده لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ... ان السماء ترجى حين تحتجب

وقول ابن نباتة السعدي

ولو كان الحجاب لغير نفع ... لما احتاج الفؤاد الى حجاب

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان
اجرأ الناس على الاسد اكثرهم له رؤية ، وقال آخر كثرة الاذن مجلبة
الابتذال وابهة الملوك في الاحتجاب ، وقال ابو جعفر احمد بن
يحيى العتبي للأمير السيد ابي صالح منصور بن نوح وهو يعاتبه على
كثرة الاذن بهاء الملوك في قلة لقاء الناس اياهم ، ولو كان الله عز اسمه
ظاهرا للعيون غير محجوب عنها لما عبد ، وكان يقال المبذول مملول
والممنوع متبوع وقد احسن ابن المعتز في قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا تخلق المرء العيون اللوامح

ذم الحجاب

أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر

ليس الحجاب من آلة الأشراف ... أن الحجاب مجانب الانصاف
ولقلما يأتي فيحجب مرة ... فيعود ثانية بقلب صافي

وقال محمد بن عبد الله بن أبي عتيبة

أني أتيتك للسلام ولم أنقل إليك بغيره حتى حجبت دونك مرتين وقد تشتد
واجبة على مثلي

وكان خالد بن عبد الله القسري يقول لحاجبه إذا أخذت مجلسي فلا
تحجبن عني أحدا فإن الوالي إنما يحتجب لثلاث عيّ يكره أن يطلع عليه أو
ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره معه أن يسأل شيئا وكانت
العجم تقول ما شيء أضيع للمملكة من شدة الحجاب ولا شيء أهيب للجند
والرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولة الإذن ومن أحسن ما قيل في
هذا الباب قول أبي العتاهية لأحمد بن يوسف

متى يظفر الغادي إليك بحاجة ونصفك محجوب ونصفك نائم وقول المتنبي
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب

مدح الزيارة ٣٦

في الخبر من زار أخا أو عاد مريضا
ناداه منادٍ من السماء أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا
وكان يقال أثر رسولا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش
ثلاثة أميال وزر أخا في الله وقال بعض البلغاء الزيارة عمارة
المودة وتطرية الخلة وزار بعض العلويين يحيى بن معاذ الرازي

فقال ليحيى إن زرتنا فبفضلك وإن زرناك فلفضلك فلك الفضل
زائرا ومزورا وقال الشاعر

أزور محمدا فإذا التقينا تكلمت الضمائر في الصدور
فأرجع لم ألمه ولم يلمني وقد رضي الضمير عن الضمير

وفي كتاب المبهج من زار الصديق الذي يفضي إليه بسره فقد لقي
أنسه وزار أنسه وخرج عن عقال الهم وأسره وفيه زيارة الصديق
تترك الغم منطردا والأنس مطردا وفيه في زيارة الإخوان روح الجنان
وراحة الجنان

ذم الزيارة

في الخبر زر غبا تزدد حبا وكان يقال قلة الزيارة أمان من الملالة
وينشد أي كثرت عليه في زيارته فمل والشيء مملول إذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصرا عني إذا نظرا
وينشد لكشاجم كثرت عليه فأمللته وكل كثير عدو الطبيعه
وقال منصور الفقيه

قد قلت لما أن شكت زيارتها خلوب
أن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب وقال آخر

أقلل زيارتك الصديق تكون كالثوب استجده
إن الصديق يملّه أن لا يزال يراك عنده ❊ وأحسن ما قيل في
هذا الباب قول الآخر

عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت القطر يسأم دائبا ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال آخر

أقلل زيارة من تهوى مودته فالناس من لم يواترهم أجلّوه
فالغيث وهو حبيب الناس كلهم إن دام أكثر من يومين ملّوه

مدح النساء ٣٧ قال النبي صلى الله عليه حبّب إلي
من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلوة ❊ وقال عليه
السلم تنكح المرأة لجمالها ومالها فعليك بذات الدين تربت يداك ❊ ثم
قال ما أفاد رجل بعد الإسلام خيرا من امرأة ذات دين تسرّه إذا
نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه في نفسه وماله إذا غاب
عنها ❊ وكان مسلمة بن عبد الوليد يقول المرأة الصالحة خير للمرء من
عينيه ويديه ❊ ومن لم تخنه نساؤه تكلم بملء فيه ❊ وكان يقال خير

النساء الولود الودود المعود ❊ وقال بعض العرب خير النساء
الهينة اللينة النقية التي تعين زوجها على الدهر ولا تعين
الدهر عليه ❊ وقال بعض السلف المرأة الصالحة إحدى الكسبين
وقال بعضهم من أعون العون للمرء على المعيشة المرأة الصالحة ❊ وقال
آخر أفضل متاع الدنيا لعين المرء المرأة الصالحة والولد الأديب ❊
وقال بعض العلماء إن الإنسان لا يسكن إلى شيء كسكونه إلى زوجته
وذلك أن الله تعالى خلق حوا ليسكن إليها آدم عليه السلم كما قال
عز ذكره هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن إليها فالسكون إلى الأزواج والأنس بهن مما ورثهم بنو آدم
آباهم ❊ وقال بعضهم إن الرجل لا يسكن إلى شيء كسكونه إلى زوجته
المواتية الموافقة لأن الله عز اسمه يقول خلق لكم من أنفسكم
أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ولم يخص بهذه
الصفة غير النساء فلذلك يحزن الرجل بسبب امرأته وولده
وأولاده ومن دونهم ولذلك لا يهتم أحد لأحد كاهتمام المرأة
الصالحة لزوجها في شفقتها عليه وعلى ماله ولا يتم أمر منزل الرجل

ومن دونه الأجرة شفيقة رفيقة صالحة عفيفة وإلا اختلت أموره
واضطربت أسبابه. وقال خالد بن صفوان اطلب لي بكرا كثيب وثيبا
كبكر لا ضرعا صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت في نعمة وأدركتها
حاجة فخلق النعمة فيها وذل الحاجة معها. ومن أحسن ما قيل في النساء
قول الشاعر ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بني الدنيا لقاء بناتها
وقول الآخر أن النساء رياحين خلقن لنا فكلنا نشتهي شم الرياحين

ذم النساء

قال النبي صلى الله عليه في ذكر النساء
أنهن ناقصات عقل ودين وقال عليه السلام شاوروهن وخالفوهن فإن
البركة في خلافهن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعيذوا بالله
من شر النساء وكونوا من خيارهن على حذر. وكان يقال النساء حبائل
الشيطان. وقال بعض الحكماء أعص هواك والنساء وأطع من شئت
وقال النبي صلى الله عليه ما تركت بعدي فتنة أضر بالرجال من النساء.
وعنه عليه السلام خلقت المرأة من ضلع عوجاء فإن داريتها استمتعت
بها وإن رمت تقويمها كسرتها وقال الشاعر
أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
وقال بعض السلف إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن
الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا ويقول عز اسمه إنه من
كيدكن إن كيدكن عظيم. وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل أن يمدح
امرأة إلا بعد موتها. وكان المأمون يقول النساء شر كلهن ومن شر
ما فيهن قلة الاستغناء عنهن. وقال غيره المرأة الصالحة غل قمل
يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء. وكان يقال من الفواقر
امرأة إن حضرتها لسنتك وإن غبت عنها لم تأمنها. وقال بعض الحكماء أضر
الأشياء بالدين والعقل والجسم والمال الإغراء بالنساء ومن لم
يبتل بذلك أنه لا يقتصر على ما عنده ويطمح إلى ما ليس له. وقال بعض العلماء
من يحصي مساوي النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة البطن والفرج وما
فيهن إلا ناقصة العقل والدين لا تصلي أيام حيضها ولا تصوم فيها ولا
تسلم على النساء وليست عليهن جمعة ولا جماعة ولا يكون منهن قاض ولا
نبي ولا يسافرن إلا بولي. وكان يقال ما نهيت المرأة عن شيء إلا أتته
وقال طفيل الغنوي في هذا المعنى

أن النساء كأشجار نبتن لنا منهن مر وبعض المر مأكول
أن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واجب لا بد مفعول
وقال رجاء بن حيوة قال قال معاذ بن جبل إنكم ابتليتم بفتنة الضراء
فصبرتم وإني أخاف عليكم فتنة السراء وإن من أشدها كم عندي
النساء إذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن
فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يقدر

مدح التزوج

قيل للحسين بن علي يا ابن رسول الله صلى الله عليه إنك نكحة طلقة
فقال إني أحب الغنى وقد سمعت الله يقول وأنكحوا الأيامى منكم
والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
فنكحت أبتغي الغنى وسمعته يقول وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته
فطلقت رغبة في الغنى وقال رسول الله صلى الله عليه لعكاف
الهلالي ألك امرأة فقال لا يا رسول الله قال أنت إذا من إخوان
الشياطين إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فمن
سنتنا النكاح وقال بعض الصحابة عند وفاته زوجتني زوجوني
زوجوني فإن رسول الله صلى الله عليه أوصاني أن لا ألقاه أعزب وكان

[illegible]

معاذ بن جبل يقول لو لم يبق من عمري إلا ليلة لأحببت أن يكون لي فيها
زوجة خوف الفتنة وقال بعض السلف لعزب والله ما يمنعك من
التزوج إلا عجز وفتور وكان يقال النكاح من سنن المرسلين

ذم التزوج

سئل بعض حكماء البلغاء عن التزوج
فقال فرح شهر وترح دهر ووزن مهر ودق ظهر وقال آخر إذا
قيل للرجل أملك فقد أهلك وقال آخر إملاك هو إهلاك لولا أن
ثمنه عليه وقال بعض الأعراب
يقولون تزوج وأشهد أنه هو البيع إلا أن من شاء يكذب
وقيل للعتابي أنت أعزب وما تزوجت فقال وجدت الصبر عنهن أيسر
من الصبر عليهن وقيل مثل ذلك لمالك بن دينار فقال لو استطعت
لطلقت نفسي وفي كتاب ملح النوادر أن ذئبا كان ينتاب بعض
القرى ويعبث فيها فترصده أهلها حتى صادوه وتوامروا في تعذيبه
وقتله فقال بعضهم تقطع يداه ورجلاه وتدق أسنانه ويخلع لسانه
وقال آخر بل يصلب ويرشق بالسهام وقال آخر لا بل توقد نار غليظة
ويلقى فيها فقال بعض الممتحنين بنسائهم لا بل يزوج وكفى بالتزوج

تعذيبًا وفي هذه القصيدة **يقول الشاعر**

رب ذنب أخذوه وتمادوا في عقابه ثم قالوا زوجوه وذروه في عذابه

مدح الجواري ٣٩ كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة
النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالإماء دون الحرائر وقال
مسلمة بن عبد الملك يقول عجبت لمن استمتع بالسراري ثم تزوج المهاير
وكان يقال السرور في اتخاذ السراري وقال الأصمعي كان أهل
المدينة يكرهون اتخاذ الإماء أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب والقسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم
بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وفاقوا أهل المدينة فقهًا
وورعًا وما منهم إلا ابن سرية فرغب الناس في السراري وقال
مؤلف الكتاب وليس في خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا ثلثة
السفاح والمنصور والمخلوع والباقون كلهم أبناء السراري الجواري
وقد أوردت أسماءهن في كتاب لطائف المعارف المؤلف لخزانة
مولانا الملك المؤيد أعز الله نصره وثبت ملكه وكان يقال النجابة في
أولاد الإماء لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم ولما تزوج علي بن

الحسين بأم ولد رجل من الأنصار لامه عبد الملك بن مروان على
ذلك وكتب إليه علي أن الله عز اسمه قد رفع بالإسلام الخسيسة
وأتم النقيصة وأكرم من اللؤم فلا عار على مسلم في حلال هذا رسول
الله صلى الله عليه تزوج أمته وأمه فقال عبد الملك إن علي بن الحسين يشرف
من حيث يتضع الناس وقال مؤلف الكتاب في كتابه كتاب المبهج أبيات
الوسيمة من النعم الجسيمة وفيه لا يتخذ السرية الأسرية وقال
في هذا الباب أحد شرفاء الأمم المعالي أدام الله رفعته

سقيا لدهر سروري والعيش بين السراري ... إذ طير سعدي جواد مع امتلاك الجواري
أيام عيشي لعودي وقد ملكت اختياري ... أجري لغير عذار أجني لغير اعتذار
وغيم لهوي مطير وزند أنسي واري ... كأن خوارزم شاه الهمام أصبح جاري
من نيب دهر خؤون لغير ما ستر جاري ... ذاك المليك الذي حكت يمينه السواري
وقد حمى الدين لما جلاه يوم الفخار ... فظل سورًا عليه وتارة كسوار
لا زال خوارزم شاه يحوي العلى باقتدار ... صدرًا لغير مباد بدرًا بغير سرار

ذم الجواري أحسن ما سمعت في ذلك ما أنشدنيه أبو
الحسن السهروردي قال أنشدني المجوني المروزي **لبعض الشعراء**

إذا لم تكن في منزل المرء حرة رأى خللًا فيما تولى الولايد
فلا تتخذ منهن حرا قعيدة فهن لعمر الله بئس القعايد

وكان يقال الجواري لخبز السوق والحرائر لخبز الدار ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبل على أكمة وسمعت أبا الحسين الماسرجسي يقول سمعت بعض مشايخ نيسابور يقول لا تفترش من تداولها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين وقال بعض البلغاء لا خير في بنات الجلاد وقد نودي عليهن في الأسواق وتعاورتهن أيدي الفساق

مدح العيال قال بعض السلف استكثروا من العيال فإنكم لا تدرون بمن ترزقون وقال آخر من لا عيال له فلا مروة له وقال طلحة الطلحات لا تمتنعوا من اتخاذ العيال فإن أرزاقهم على الله ومرافقتهم لكم وكان يقال الكلب من لا عيال له بمنزلة وكان جعفر بن سليمن يقول العيش في سعة الحال وكثرة العيال وشكا رجل إلى بعض الحكماء كثرة عياله فقال من كان من عيالك رزقه على غير الله فحوله إليه ومما يستجاد ويستحسن لأبي العتاهية قوله

الخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله فأحبهم طرا إليه أبرهم بعياله

ذم العيال كان يقال قلة العيال أحد اليسارين وعن خلف بن أيوب يقول لم أر كريمًا فضحه العيال وكان سفين بن عيينة يقول لا يصلح ولا يجوز ولا يستقيم أن يكون صاحب عيال ورعًا دري يومًا واتفقا بباب يحيى بن خالد فقيل له أليس هذا من مواطنك يا أبا محمد فقال متى رأيتم صاحب عيال أفلح وكان يقول أي لأعجب ممن له عيال وليس له مال كيف لا يخرج على الناس بالسيف ومن الأمثال الدائرة على وجه الدهر العيال سوس المال وقيل لبعضهم ما المال قال قلة العيال وقال آخر لا مال لكثير العيال وكان يقال الغنا لمن يتخذ المال قبل العيال ومن مواعظ كتاب المبهج استظهر على الدهر بخفة الظهر

مدح الولد في الحديث المرفوع ريح الولد من ريح الجنة ويروى أنه عليه السلم قال أحد الجنتين أنكم من ريحان الجنة وقال صلى الله عليه ولد الرجل من أطيب كسبه وكان يقال الولد قرة العين وريحانة الأنف وثمرة القلب وقال بعض السلف أولادنا أكبادنا وقال الأحنف لمعاوية أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة إن غضبوا فأرضهم وإن سألوا فأعطهم ولا تكن عليهم قفلًا

فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك وقالت أعرابية وهي ترقص ولدها
يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد أهكذا كل ولد أم لم يلد قبلي أحد
ومما يستحسن من ألفاظ الصاحب قوله في رسالة وصل كتاب مولاي
فألصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وقال من سره أن يرى
كبده تمشي على الأرض فليرى ولده

ذم الولد

قال بعض حكماء العرب من سره بنوه ساءته نفسه وكان يحيى بن خالد
يقول ما رأى أحد في ولده ما يحب إلا رأى في نفسه ما يكره وفي قريب من
هذا المعنى يقول ابن الرومي

كم سره ولي مولود أتلد لغده * وبأن يعدي الزمان رأيت منتشره
ومن العجائب أن أسر بمن به أنهد

وقال ابن المعتز في فصول القصار أفقد الولد أم عاداك وقرأت
في كتاب الهند إذا ترعرع الولد تزعزع الوالد وقيل لعيسى عليه السلام
هل لك في الولد فقال ما حاجتي إلى من إن عاش كدني وإن مات هدني وقيل
لبعض النساك ما لك لا تبتغي ما كتب الله لك فقال شيئا لا أمر الله ولا محابين
إن عاش فتنني وإن مات حزنني ثم يذكر قوله عز وجل إنما أموالكم وأولادكم فتنة

الرعراع اليافع
الحسن الاعتدال
ترعرع الصبي
تحرك ونشأ
ق

ترعرع حركه ق

وقال بعض الحكماء في ذم الأولاد ملوك صغار وأعداء كبار يريد قوله تعالى
إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وقال أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي
إنما صار ولد الولد أحب إلى الرجل من ولده لصلبه لأن الولد عدو كما
قال الله عز وجل إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وولد الولد عدو
العدو وعدو عدوك صديقك في أغلب العادات وفي الحديث
المرفوع الولد مبخلة مجبنة وكان يقال من أراد أن يذوق الثكل والمرارة
في شيء واحد فليتخذ ولدا وقيل لفيلسوف لم عق أبويه لم يعق والديك
فقال لأنهما أخرجاني إلى عالم الكون والفساد وقيل لأعرابي لم أخرت
التزوج إلى الكبر فقال لأبادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق
وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى
أن يرزق ابنا وينذر عليه النذور فولد له ابن فسر به وأحسن تربيته
ولم يهمه شيء من الدنيا سواه فبلغ كل مبلغ من الإحسان به والنظر له
والإفضال عليه حتى بلغ الحلم فلم يشعر الأب ذات يوم إلا بخنجر خالط
جوفه من ورائه فاستغاث بابنه فلم يجبه ثم استغاث ثانية والتفت
وإذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ لا إله إلا الله محمد رسول الله أستغفر

الله صدق الله أراد بالتثليث أن يلقى الله بالايمان والاستغفار أن الله قد
حذره فلم يحذر ونقول صدق الله قوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم فاحذروهم يجمع هذه الكلمات كلما يحتاج إليه في ملك الحال
وقال أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلي
هذا الزمان الذي كنا نحذره فيما يحدث كعب وابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
وقال آخر وما الدهر أهل أن يؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل
وقال آخر سكنتك يا دنيا بزعمي مكرها وما كان لي في ذاك صنع ولا أمر
وجربت حتى قد ملئت خبرة فأنت وعاء حشوه الهم والضر
فإن أرتحل يوما أدعك ذميمة وما فيك من عودي عائد ولا بذر
وأنشد أبو الطيب سهل بن أبي سهل الصعلوكي
يقولون ذكر المرء يحيا بنسله وما إن له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي فمن فاته نسل فإنا بها نسلو
مدح البنات ٢٣ دخل عمرو بن العاص إلى معاوية وعنده
ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب قال

حاشية: لم يحزن لفقدان ولد وبنته كأن لم يكن إياها كأنا

أنبتها عندك قال ولم قال لأنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن
الضغائن قال لا تقل ذاك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان
على الأحزان مثلهن وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته فقال قد حببتهن
إلي يا أمير المؤمنين وقال أوس بن معن المزني في أعين بن أوس المزني
رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى عوائد لا يمللنه ونوائح
وقال العلوي الحماني في صديق ولدت له بنت فتسخطها
قالوا إلهنا ما رزقتنا فأصبح ثم قال بنتا وأجل من ولد النساء أبو البنات فلم جزعتا
إن الذين تود من بين الخلائق ما استطعتا نالوا بفضل البنت ما كتبوا به الإعداد كتبا
نسخة رقعة للصاحب في التهنئة ببنت أهلا وسهلا بعقيلة النساء
وأم الأبناء وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار والمبشرة بإخوة يتناسقون
ونجباء يتلاحقون فلو كان النساء بمثل هذه لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
والله يعرفك يا مولاي البركة في مطلعها والسعادة بموقعها فادرع اغتباطا
واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعبدونها

والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة
وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة وهي قوام
الأبدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام
ولا عرف الأنام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون
فهنيئا هنيئا لك ما أوتيت وأوزعك الله شكر ما أعطيت **نسخة**
رقعة أخرى لأبي الفرج الببغاء ، اتصل بي خبر المولودة المسعودة
كرم الله غرتها وأنبتها نباتا حسنا وما كان من تغيرك عند اتضاح
الخبر وإنكارك ما اختاره لك خالق القدر وقد علمت أنهن أقرب من القلوب
وأن الله بدأ بهن في الترتيب فقال جل من قائل يهب لمن يشاء إناثا
ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى وبحسن
التقبل أحرى فهنأك الله ورود الكريمة عليك وثمر بها أعداد النسل
الطيب لديك

ذم البنات

قيل لأعرابي ما ولدك قال قليل خبيث قيل وكيف قال لا أقل من
واحد ولا أخبث من أنثى ، وكان يقال دفن البنات من المكرمات وتقديم
الحرم أحد النعم ، وفي الحديث المرفوع نعم الختن القبر **ويروى لعبد**

الله بن طاهر لكل أبي بنت إذا ما ترعرعت ثلاثة أصهار إذا عدد الصهر
فزوج يراعيها وبيت يكنها وقبر يواريها وخيرهم القبر

ويروى لغيره

جعلت فداك من النائبات ومتعت ما عشت بالطيبات
سرور أبيها ثلاث حياة البنين وموت البنات
وأصدق من ذي قول الحكيم وفاة البنات من المكرمات
وكان الأستاذ أبو بكر الخوارزمي يقول لئن شيخ من له بنت ولو كان
له تسعون سنة ولئن شاب من له بنت ولو كان ابن يوم وليلة
ويا طوبى لمن صاهر القبر وخطب إليه الدهر ووضع في ميزانه المهر

منح الغلمان

كان يحيى بن أكثم يقول قد أكرم الله تعالى
أهل جنته بأن أطاف عليهم الغلمان في وقت رضاه عنهم وإفضاله
عليهم وبره بهم لفضلهم على الجواري في الخدمة فما الذي يمنعني عاجلا من
طلب هذه الكرامة المخصوص بها أهل القربة عند الله والزلفة لديه ، وقال
مطيع بن إياس لو لم تكن للمرد فضيلة إلا أن الله جعل ملائكته مردا
وأهل جنته مردا لكانت فيها كفاية وأنا عنى الحديث المرفوع أهل

أجنة مرد جرد مكحلون ❊ وفي ذلك يقول الشاعر

لو كان يرضى ربنا أما خلق الجنة للمرد ❊ وكان بعض حكماء الفتيان
يقول الغلام هو الرفيق في السفر والصديق في الحضر والمعين على
الشغل والنديم على الشرب وهو تيس الانس ❊ وقيل لبعضهم
لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه في السفر صاحب وفي الحضر
نديم وفي الخلوة أهل

وقال مطيع بن اياس

من كان يعجبه الانثى ويعجبها من الرجال فاني شفني الذكر
فوق الخماسي لما طر شاربه رخص البنان خلا من حلية الشعر
لم يخف من كبر عما يراد به من الامور ولا أزرى به الصغر

وقال آخر

فديتك انما اخترناك عمدا لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى الفضل الغواني لضاق بنسلنا البلد العريض

وقال أبو نواس

أنا امرؤ أبغض النعاج وقد يعجبني من نتاجها الحمل
حتى اذا ما رأيت لحيته فليس بيني وبينه عمل

وكتب بعضهم الى صديق له على ظهر

كتبت اليك في ظهر لعلمي بأنا معشر نهوى الظهورا

وأن الصيد للغزلان خير من الصيد الذي يأوي البحورا

ذم الغلمان

قال بعض السلف لا تملأوا أعينكم من
المرد فان فتنتهم تربى على فتنة النساء ❊ وقال آخر اياكم والمرد
من أولاد أهل اليسار فان لهم شهوة كشهوة النساء وفيهم حظة
من الحور

وقال ابن الرومي

حبك الغلمان ما أمكن النسوان عن ❊ انما يشق في ظهر اذا أعوز بطن

وقال أبو اسحق الصابي

لحاجة المرء في الادبار ادبار والمائلون الى الاحجار أحرار
لم من طريف لطيف بات منبطحا ظهر الغلام فأضحى وهو عطار
تصفر أثوابه من روث فقحته فتستبين هناك الخزي والعار
كم بين ذاك ومن باتت مطيته حوراء ناظرها بالغنج سحار
تفوح عنها وقد أهدت له أرجا من عنبر ضوعت [illegible] النار
إياكم يا تقاة عن حجا الفتى لا تخدعكم عن الاحرار أحجار ❊ وقال
بعض الادباء استراح من اقتصر على النساء ❊ وقال بعض الحكماء من
أولع بالغلمان استنزف لانه من الطاغين ❊ وقال بعض الظرفاء اللواط

ليس من الاحتياط ۞ وكان الاستاذ ابو بكر الخوارزمي يقول اجتماع الابرد
خطاء كبير وخطر عظيم **ثم ينشد لغيره**

عليك بالاناث واتيانهن ودع عنك ذكر الذكر
فليس اللواط من الاحتياط واتيانه تحت خوف خطر

مدح الخط والعذار كان يقال هل الحسن الروض الا بزهره
والخد الا بزبره ۞ وقال بعض البلغاء احسن ما يكون الامرد الصبيح
اذا انقش الخط نمنم وجهه واورق فضة خده ۞ وقال آخر خط اللحية
للحسن كالسواد في القمر ۞ ومن احاسن الشعر قول الصاحب

ان كنت تنكره فالبدر يعرفه او كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشعر كي يمحو محاسنه وانما جاءه عمدا يغلفه

وقال ابو الفرج الببغا

ومهفهف لما اكتست وجناته حلل الملاحة طرزت بعذاره
لما استقرت على عظيم جفائه بالقلب كان القلب من انصاره

وقول ابي فراس الحمداني قد كان بدر السماء حسنا والناس في حسنه سواء
فزاده ربه عذارا تم به الحسن والبهاء

وقوله لا تعجبوا ان ربنا قد يزيد في الخلق ما يشاء
من اين للرشأ الغرير الاحور في الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كأن بعارضيه كليهما مسكا تساقط فوق ورد احمر
وقول الآخر وخط تم في حافات خد له في كل يوم الف عاشق
كأن الخد قد مرت بمسك ودبت ما حوته على الشقائق

ذم الخط والعذار قال بعض البلغاء اذا اختط
الغلام استحال نور خده دجى وزمرد خطه سبجا ۞ وقال آخر
عيب العذار انه يكسف الهلال ويحيل الحال ويمسخ الجمال **وقال**
بعض الشعراء قلت لما تشوكت وجنتاه وازال الظلام ضوء نهاره
اي شيء هذا فقال مجيبا كل من مات سودوا باب داره
وقال القاضي التنوخي قلت لاصحابي وقد مر بي متنقبا بعد الظبا بالظلم
بالله يا اهل ودادي قفوا كي تبصروا كيف زوال النعم
وقال بعض العصريين اخنى عليه الشعر والدهر ومحا محاسن وجهه الشعر
ومتى تمت ما قد دهاه تقل لا تعجبوا قد يكسف البدر
وقال آخر ما يفعل الله باليهود ولا بعاد ولا ثمود

ولا أبالي إذا نادى يوم دعوة إلى السجود
ولا بقرعون إذ تعدى ما يفعل الشعر بالخدود
بينا يرى الأمرد المفدى كالبدر في أكمل السعود
إذ غشية الشعر عارضيه فصار قردا من القرود

مدح المماليك كان يقال العبد من لا عبد له والحر
تقول الكلب من لا عبد له بمنزلة وقال دغفل النسابة في المماليك
هم عدد مستفاد وفي أكباد الأعداء أوتاد وقال سعيد بن سلم لا بد
للعميد من العبيد وكان يقال الإحسان إلى العبيد مرضاة للرب
مسخطة للعدو وكان جعفر بن سليمن في العبيد إن أكلوا من مالك
زادوا في جمالك وقال غيره العيش في سعة الدار والعز في كثرة العبيد
وقال آخر عز الملوك في كثرة المماليك وأحسن ما سمعت في وصف
مملوك ومدحه **قول أبي عثمن الخالدي في رشا مملوكه**

ما هو عبد لكنه ولد خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزري بحسن خدمته فهو يدي والذراع والعضد
صغير سن كبير معرفة مازج الضعف فيه والجلد

معشق الطرف كحله كحل مغزل الجيد حليه جيد
وغصن بان إذا بدا فإذا شدا لعمري فإنه غرد
تثقفه كيسه فلا عوج في بعض أخلاقه ولا أود
ما غاضني ساعة فلا صخب يمر في منزلي ولا حرد
مسامري إن دجا الظلام فلي منه حديث كأنه الشهد
خازن ما في يدي وحافظه فليس شي لدي يفتقد
يصون كتبي فكلها حسن يطوي ثيابي وكلها جدد
وحاجبي فالخفيف محتبس عندي به والثقيل مطرد
وحافظ الدار إن ركبت فما على غلام سواه أعتمد
ومنفق مشفق إذا أنا أسرفت وبذرت فهو مقتصد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وواجد لي من المحبة والرأفة أضعاف ما به أجد
إذا تبسمت فهو مبتهج وإن تنمرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت له صفات لم يحوها العدد

ذم المماليك من أمثال العرب ليس عبد بأخ لك

ومنها الحرّ يعطي والعبد يألم قلبه ۞ ومن أمثال العامة الحرّ حرّ
وإن مسّه الضرّ والعبد عبد وإن مشى على الدرّ ۞ ومنها ما أطيب
الغنى لولا العبيد والإماء ۞ وفي الخبر اشتروهم صغارا وبيعوهم
كبارا وقال بشار الحرّ يلحى والعصا للعبد وقال ابن مفرغ
الحميري العبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الملامة وقال يزيد بن محمد
المهلبي ان العبيد اذا ما هنتهم صلحوا على الهوان وان اكرمتهم فسدوا

ما عند عبد لمن رجاه من فرج ولا على العبد عند الخوف معتمد ۞
لا تجعل عبيدك أوتادا تشجّ بها لا يثبت البيت ما لم ينزع الوتد

وقال سعيد بن محمد الطبري

وأن الحرّ في الحالات حرّ وأن الذل يقرن بالعبيد وقال أبو الطيب المتنبي
لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجاس مناكيد
وأهدى مطيع بن إياس الى حماد عجرد غلاما وكتب معه قد أهديت
لك غلاما تتعلم منه كظم الغيظ ۞ وسئل بعضهم عن غلام له فقال يأكل
ما رآها ويعمل ما كرهها ۞ وأبلغ ما قيل في ذم مملوك قول ابن الرومي
لي خادم لا أزال أحبسه لغيبه حتى يزن شغبه

نرسله لاشتراء ما كنت فقصرنا ان يجيئنا كتبه ۞
لم قال صيقي وقد بعثت به فهيهات يوم إياب منقلبه
وخلته ملّ شمائل الكرام رضوان لكي يجتني له عنبه
وأنما زاد ما لكا فأي يقوم مدق فظلت تنتحبه
هل شترى والسعيد بايعه هل قابلك المعيد من ربه
أضرّ بالمسلمين جالبه لا كان من جالب ولا جلبه

ملح الخصيان ٤٦ كان يقال الخصيان ملحمة بني آدم
وقيل لأبي العتاهية لم اتخذت غلامين اسودين خصيين فقال اتخذتهما
خصيين لئلا اتّهم بهما وأسودين لئلا يتّهماني ۞ وعرض على بعض الملوك
غلام صبيح خصي فقال يصلح للفراش والهراش ۞ وكان بعضهم يتخذ الخدم
الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له ما في ذلك فقال لأنهم
بالنهار فوارس وبالليل عرائس وفيهم يقول الشاعر
ونساء لمطمئن مقيم ورجال ان كانت الاسفار ويقول الحسين الضحاك
مبرأون من الشعر الكريه ومن حمل الأيور وأحراج مثانين
وهم نساء اذا خلوتهم وهم رجال لدى الهيجاء محوي ۞

ذمّ الخصيان

قال الجاحظ كان من ظرف ما يقصّ عبد الأعلى القاصّ قوله في الخصيّ إذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتّسعت فقحته وكثرت دمعته ❊ وكان يقال من حبّ زنة ذهب لبّه ❊ وفي ذلك يقول أبو الطيّب المتنبّي لقد كنت أحسب قبل الخصيّ أنّ الرؤوس مقرّ النّهى

فلمّا نظرت إلى عقله رأيت النّهى كلّها في الخصى

وممّا يستظرف للحمّاني قوله في خصيّ اسمه سنان كان يعشق جارية

ما للبغيض سنان وللوجوه الملاح أين ذا كخصيّ عار بغير سلاح

ووصف الحمّاني رجلاً بالرعونة فقال مثله كمثل الخصيّ يستحي من ربّ مولاه ❊ ونظر خصيّ إلى رجل أقلف في الحمّام فقال الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من خلقه فقال له الرجل كلّ من له خصيتان فله فضل عليك ❊ وأبلغ ما قيل في ذمّ الخصيّ قول بعض السّلف لم يلد مؤمن ولم يلد مؤمنًا

مدح النّبيذ

قال كسرى النّبيذ صابون الهمّ ❊ وقال أرسطاطاليس الرّاح كيمياء الفرح ❊ وقال جالينوس الرّاح صديق الرّوح ❊ وقال آخر الرّاح

درياق سمّ الهمّ ❊ وقال عبد الملك بن صالح الهاشميّ ما جُشّمت الدّنيا بأظرف من النّبيذ ❊ وفي الكتاب المبهج لكلّ شيء سرّ وسرّ النّبيذ السّرور ❊ وفيه أيضًا الدّنيا معشوقة وريقها الرّاح ❊ وقال الجاحظ إنّ النّبيذ إذا تمشّى في عظامك ودبّ في أجزائك منحك صدق الحسّ وفراغ النّفس وجعلك رخيّ البال خليّ الذّرع قرير العين منشرح الصّدر حسن الظّنّ وسدّ عليك باب الغمّ وحسم عنك خاطر الهمّ وهو الذي يردّ الشّيوخ إلى طبايع الشّبان والشّبان إلى طبايع الصّبيان ❊ وروي عن ابن عبّاس أنّه كان يقول ما يحرّم النّبيذ إلّا لئيم ولا يحلّله إلّا كريم ولا يفرّطه الأجواد سخيّ ولا يذمّه إلّا بخيل ظنين ولكن اتّقوا السّكر فإنّه عار ومنقصة ❊ ولقد سوّغه رسول الله صلّى الله عليه حلالًا طيّبًا وإنّا لنتقوّى به على صيامنا وقيامنا ونبسط به غواشي أحزاننا وهموم منه ❊ وقيل لأبي نعيم الفضل بن دكين ما تقول في النّبيذ المصفّق المضيّ المروّق المعتّق فجعل يتمطّق ويقول أخاف أن لا أستقلّ بشكر الله على النّعمة فيه ❊ وكان مطيع بن إياس يقول إنّ في النّبيذ لمعنى

في الجنة لأن الله عز وجل أخبر عنهم أنهم يقولون حكاية عن أهلها الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والنبيذ يذهب الحزن. وكان ابن الرومي يقول قد أفلح شارب النبيذ لأنه يقيه الشح والله عز ذكره يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ونظم هذا المعنى **فقال**

أعاذل إن شرب الراح رشد لأن الراح يأمر بالسماح
يقينا شح أنفسنا وذاكم إذا ذكر الفلاح من الفلاح

وكان أبو عثمان الناجم يقول لو نطق النبيذ لشكر ابن الرومي على **قوله فيه**

والله لا أدري لأية علة في الراح يدعوها الفتى بالراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها المرتاح

وقيل لابن عائشة إن فلانا لا يشرب النبيذ فقال قد طلق الدنيا ثلاثا وقيل للرقاشي لم أولعت بالنبيذ فقال لأنه يفتح في قلبي سرورا ويزيد في بدني نورا **وقال حسان بن ثابت**

إذا ما الأشربات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء

وقال غيره

وإن رضاع الكأس أعظم حرمة وأوجب حقا من رضاع لبان

وقال المأمون

أما ترى الدهر ما تفنى عجائبه والدهر يخلط ميسورا بمعسور

١٢٠

وليس للهم إلا شرب صافية كأنها دمعة من عين مهجور

وقال ابن المعتز

خل الزمان إذا تقاعس أو جمح واشك الهموم إلى المدامة والقدح
واحفظ فؤادك إن شربت ثلاثة واحذر عليه أن يطير من الفرح
هذا دواء للهموم مجرب فاسمع نصيحة حازم لك قد نصح
ودع الزمان فكم نصيح حازم قد رام إصلاح الزمان فما انصلح

وقال هبة الله بن المنجم الراح في إبريقها أحسن روح في جسد
نهاتها تصلح بها من الزمان ما فسد

ولمؤلف الكتاب ما قاله في صباه

وقهوة عيش من عاقرها عيش أنيق فهي للأنس نظام وإلى اللهو طريق
وهي للأرواح في أبداننا نعم الصديق قلت لما لاح لي منها شعاع وبريق
أشقيق أم عقيق أم حريق أم رحيق

ذم النبيذ في الحديث أن الله جمع الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الخمر. وفي الكتاب المبهج الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور. وعاتب الضحاك بن مزاحم صديقا له على شرب

النبيذ فقال لا اشربه ليهضم الطعام فقال ما يهضم من دينك اكثر
وقيل لبعض الحكماء اشرب معنا النبيذ فقال لا اشرب ما يشرب عقلي وقال
آخر لا بد اياك والنبيذ فانه مفسدة للمال والدين وقيل لبعضهم النبيذ
كيمياء الطرب فقال نعم ولكنه داعية الحرب وذم النبيذ بعض
البلغاء فقال في مثالبه ان صاحبه يتكرهه قبل شربه ويقطب عند شمه
ويستنقص الساقي من قدره ويمزجه بالماء الذي هو ضد له ليحجبه عن
معاه وحده ثم يكرع فيه على المبادرة ويعبه ولا يمصه ويتجرعه ولا
يكاد يسيغه ليقل مكثه في فيه ويسرع على اللهوات اجتيازه ثم لا
يستوفيه كله ويرى ان يبقي فضلة في كاسه ويتاح الساقي في المناظرة
على ما بقي منه من عند رده ليصرف عن نفسه عادية شره ويسلم من مكروه
عافيته ويتنقل بعقبه ما يكسر من سورته ويخفف من بشاعته وقع
من قذره كما يفعل بطبيخ الاغاريقون وحب الانطمنيقون ولو لم يكن في
النبيذ الا انه من عمل الشيطان لكفى لقوله تعالى انما الخمر والميسر
وانشد ابو الفضل عبد الله احمد تركت النبيذ وشرابه وصرت حديثا لمن عابه
شراب يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر ابوابه **مدح الصبوح**

كان زراعة بن ابي دود ظريف العراق يقول الشباب باكورة الحبوح والشرب
في شباب النهار أقوى لشباب الناس وأجمع لشمل اللهو قلت ولذلك قال
ابن المعتز أسقني الراح في شباب النهار وقال العطوي
أن صدر النهار أنضر شطريه كما نضرة الفتى في فتائه وقال آخر
أن شرب المدام سيد اللهو وخير المسير صدر النهار
ولابن المعتز مزدوجة في الصبوح مما يقع في هذا الباب قوله
يا صاحب قد لامني وزادا في تركي الصبوح ثم عادا
وقال لا تشرب بالنهار وفي ظلماء الفجر والاسحار
اذا وشى الليل صبح فانفضح وذكر الطائر شجوه فصدح
ونفض الليل على الروض الندى وحركت اغصانه ريح الصبا
وقال شرب الليل قد اذانا وطمس العقول والاذهانا
الا ترى البستان كيف نورا ونشر المنثور بردا اصفرا
وضحك الورد الى الشقائق واعتنق القطر اعتناق عاشق
في روضة كحلة العروس وجوهر كهامة الطاووس
والياسمين في ذرى الاغصان منتظم كقطع العقيان

والنور مثل قضب الزبرجد قد أتته الحبش من تربه
على روابٍ وثرى ثرى وجدول كالمبرد أخلى
وقدح الخشخاش جنبا وقنو كأنه تصاحف سيف الأزرق
أو مثل أقداح من البلور تخالها تجسمت من نور
وبعضها عريان من أثوابه قد خجل اليابس من أصحابه
تبصره بعد انتثار الورد مثل الدبابير بأيدي الجند
والسوسن الأزاد منشور الحلل كقطن قد مسه بعض البلل
وقبت منه نثار الكند كأنها جماجم من عنبر
وخلق البهار بين الآس جمجمة كهامة الشماس
خيال شيخ مثل شيب النصف وجوهر من زهر مختلف
وجلنار كاحمرار الخد أو مثل أعراف ديوك الهند
والأقحوان كالثنايا الغر قد صقلت أنواره بالقطر
قلي أهذا حسن التبلد وبلى على ما تشتهي وعولي
وأكثر الأوصاف والأصنافا فقلت قد حسبك اختلافا
بت عندنا حتى إذا الصبح سفر كأنه جدول ماء منفجر

قمنا إلى زاد لنا معد وقهوة صارعة للجلد
كأنما حبابها المنثور كواكب في فلك يدور
ومسمع يلعب بالأوتار أرق من نابحة القمار
ولا تقل لي قد ألفت منزلي فتفسد الوعد بعذر مشكل
فقال هذا أول الجنون متى ثوى الضب بأرض النون
دعوتكم إلى الصبوح ثم لا الوم فيه إذا أجبتم أو لا

ولابن الحجاج في ذم الصبوح

الصبح مثل البصير حالا والليل في صورة الضرير
فليت شعري بأي حال تختار أعمى على بصير

ذم الصبوح أحسن وأجمع ما قيل في ذلك قول البغر

اسمع ما في الصبوح عايب عندي من أخباره عجائب
إذا أردت الشرب قبل الفجر والنجم في لجة ليل يسري
وكان برد ما النسيم زاجده وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجة وهمهمة وشتمه في صدره مجمجمة
يمشي بلا رجلين من النعاس ويدفق الكأس على الجلاس

وإن أجس من نديم صوتا قال حبا طعنة وموتا
وإن يكن للقوم ساق يعشق فجفنه بجفنه مدلق
ورأسه كمثل فرق قد مطر وصدغه كالصولجان المنتشر
أعجل عن سواكه وزينته وهيئة تنضر حين صورته
يخدمهم بتفشيح محلول ويملأ الكاس بلا منديل
وإن طردت البرد بالسمور وجئت بالكانون والتنور
فأي فضل للصبوح يعرف على الغبوق والظلام يسدف
وقد تبيت شرب الكانون كأنه نشار بأشمسين
وترك البساط بعد الجهد أنقط سود كجلد الفهد
حتى إذا لما ارتفعت شمس الضحى قيل فلان وفلان قد أتى
وربما كان ثقيلا يحتشم فطول الكلام حينا فختم
ورفع الريحان والنبيذ ونازعك عيشك اللذيذ
وليس في طول النهار أنسنا من حادث لم يك قبل كائنا
أو خبر يكره أو كتاب يقطع أنس اللهو والشراب
وأشنع الشارب الصبوح في الصيف قبل الطاير الصدوح

حين جلا النوم وطاب المضجع وأنكر الحر ولذ المهجع
وأنهم البق ولز وقعا على الدماء كيف شئن رتعا
من بعد ما قد أكلوا الأجسادا وطيروا عن الورى الرقادا
فقرب الزاد إلى نيام ألسنهم ثقيلة الكلام
من بعد أن دب عليه النمل وحية تقذف سما صل
وعقرب محذورة قتاله وجعل ومارة بواله
وللمعنى عارض في حلقه ولعسة قد قلحت في حذقه
وإن أردت الشرب بعد الفجر والصيف قد شد نيوف الحر
فساعة ثم يجيك الدامغة بنارها ولا تسوغ سائغة
وليسخن الشراب والمزاج ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا الحميا وأطعموا من زادهم شموما
وصار ريحانهم كالفت وكلهم لكلهم ذو مقت
وبعضهم عند ارتفاع الشمس يحس جوعا ولما للتنفس
فإن أسقوا به تهويسا فلم يطق من ضعفه تنفيسا
وطاف في أصداغه الصداع ولم يكن بمثله انتفاع

وان دعا الشقي بالطعام خيط جفنيه على المنام
ومن ادام للشقاء هذا من فعله والتذ التذاذا
لم يلف الا دنس الاثواب موحشا من الاصحاب
يزداد سهوا وضنى وسقما ولا تراه الدهر الا قدما
ذا شارب وظفر طويل يبقض الزاد على الاكيل
ومقلة مبيضة المآق واذن كحقة الدرياق
وجسد عليه جلد من وسخ كانه شرب نفطا او لطخ
تخال تحت ابطه اذا عرق لحية ماير قد نجا من الغرق
في صدره زوالف وقاطر كاثر الدرق على الكنادر
هذا الذي اوما تركت اكثر فجربوا ما قلته وفكروا **وله**
لا تدعني لصبوح ان الغبوق حبيبي الليل لون شبابي والصبح لون مشيبي

مدح السماع قال بعض الفلاسفة امهات اللذات
اربع لذة الطعام ولذة الشراب ولذة النكاح ولذة السماع فاللذات
الثلاث لا يوصل الى كل واحدة منهن الا بحركة وتعب ومشقة ولها
مضار اذا استكثر منها ولذة السماع قلت او كثرت صافية من التعب

خالصة من الضرر وقد نظم هذا المعنى من **قال**
وجدت رئيسة اللذات اربعة اذا تحتسب
فمنها لذة المنكح والمطعم والمشرب
وتبقى بعدها اخرى من الصوت الذي يطرب
وهذي قد تصيب النفس ايما جاو لا تنصب
وما من لذة في تلك الا وهي قد تتعب

قال مؤلف الكتاب ومن خصايص السماع انه لا يحجر شي وان يجمع بينه
وبين كل عمل ممكن وان الابل والخيل والحمير تستطيبه والصبيان
الرضع فتسكته والوحوش والطير تصغي الى الغاية منه وتهيج عليه
وكان بعض فقهاء المتكلمين يقول قد اختلف الناس في السماع فاباحه قوم
وحظره آخرون وانا اخالف الفريقين فاقول انه واجب لكثرة منافعه
ومرافقه وحاجة النفوس اليه وحسن اثر استماعها به وكان عبد الله
بن جعفر يقول اني لاجد للسماع اريحية لو سئلت عنها اعطيت ولو
قاتلت ابليت وسمع معوية عند عبد الله بن جعفر الغناء فحرك راسه
ورجليه وصفق بيديه ثم لما اناب اليه رايه قال كالمعتذر منه ان الكريم

طروب ولا خير فيمن لا يطرب ⁂ وكان مروان بن أبي حفصة اذا تغدى
عند الموصلي يقول له أطعمنا اذا تناولنا رحمك الله ⁂ وكان يحيى بن خالد يقول في
الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك ⁂ وقال غيره الغناء
غذاء الروح كما أن الطعام والشراب غذاء البدن ⁂ ومن أحسن ما قيل في
وصف الغناء الفائق قول الشاعر ⁂

غنت فلم يبق في جارحة الا تمنيت أنها أذن

ذم السماع قال الحطيئة لقوم نزل بهم جنبوني يا
بني فلان الغناء فانه رقية الزنا ⁂ وسمع سليمان بن عبد الملك ذات ليلة
في عسكره غناء فأمر بهما جميعا أن يخصيا ثم قال ان الفرس ليصهل فتستودق
له الرمكة وان الجمل ليرغو فتستضيع له الناقة وان الرجل ليتغنى فتغتلم
له المرأة ⁂ وكان الكندي يقول لابنه يا بني اياك والسماع فانه برسام حاد
وذلك أن المرء يسمع فيطرب ويطرب فيسمح فيعطي ويعطي فيفتقر ويفتقر
فيهتم ويهتم فيمرض ويمرض فيموت ⁂ وللبديع الهمداني من رقعة الى
تلميذ له توفي أبوه وخلف مالا ⁂ يا مولاي ذلك المسموع من العود يسميه
الجاهل نقرا والعاقل فقرا وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الآذان

زمر وهو غدا في الميزان جمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار
في هذا العمل بضاعة ⁂ وطلب بعض المغنين جائزة من بعض المخلصين
فقال له المسؤول اعلم أن المال روح والغناء ريح ولست أشتري
الريح بالروح

مدح الزجاج

وصف سهل بن هرون الزجاج ومدحه في بعض مجالس الملوك فقال
الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وفضله بالصلابة وفضل الزجاج
بالصفاء ثم الزجاج مع ذلك أبقى على الدفن والعرق والزجاج مجلو نوري
والذهب متاع ساتر والشراب في الزجاج أحسن منه في كل جوهر ولا
يفقد معه وجه النديم ولا يثقل في اليد ولا يرتفع في السوم وقدور
الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهي لا تصدأ ولا تندى ولا يتخللها ريح
الغمر وأوساخ الوضر وان اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت
بالماء عادت جددا وللزجاج مرجوع حسن وهو أشبه شيء بالماء وصنعته
عجيبة وصناعته أعجب ⁂ وكان سليمن بن داود عليهما السلام اذا
عتي في الاناء كلحت في وجهه مردة الجن والشياطين فعلمه الله صنعة
الزجاج وكان يشرب في آنيته فحجم عن نفسه تلك الجرأة وذلك

التبجيل ومن لم يرع فيه يشرب ماء فكأنما يكرع في إناء من ماء وهواء
وضياء ومرآته المركبة في الحائط أضوأ من مرآة الفولاذ والصور
فيها أبين وقد تقدح النار من قنينة الزجاج إذا كان فيها ماء محاذي
عين الشمس لأن طبع الزجاج والماء والهواء والشمس من عنصر واحد
وليس في كلما يدور الفلك عليه جوهر أقبل لكل صبغ وأجدر أن لا يفارقه
حتى كأن ذلك الصبغ جوهرية فيه منه ومتى سقط عليه ضياء نفذ
إلى الجانب الآخر من الهواء وأعاره لونه وإن كان الجام ذا ألوان أراك
أرض البيت أحسن من وشي صنعاء ومن ديباج تستر ولم تتخذ الناس آنية
لشراب الماء أجمع لما يريدون منه وقال الله تعالى ذكره قيل لها ادخلي
الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد
من قوارير وقال عز ذكره وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها
تقديرا فاشتق الفضة من اسمها وعلى أن الزجاج أقطع من السيف وأحد
من الموسى وإذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار مصباحا
واحدا وترد كل واحد منهما الضياء على صاحبه واعتبر ذلك بالشعاع
الذي على وجه المرآة وعلى وجه الماء وعلى الزجاج ثم انظر كيف تتضاعف

نوره حتى يكاد يغشي عين الناظر إليه وقال الله سبحانه الله نور
السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الآية والزيت في الزجاجة نور على نور وضوء مضاعف فلم يبق في ذلك
المجلس أحد إلا تحير فيه وتعجب من حسن عبارته

ذم الزجاج أحسن ما تسمع في ذلك قول النظام
فإنه أخرجه في كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال يسرع إليه الكسر ولا
يقبل الجبر وقال غيره لين الزجاج من خير المتاع وهو على مدرجة
الضياع لأن الآفات تسرع إليه وتفرق عليه وكلما كان أثمن كان الخطر
فيه أعظم وما احتاط علما لمن غالى به وأسرف في ثمنه ثم هو مثل لما
يرق ويضعف مما يذم ولا يحمد كما كتب مروان بن محمد إلى بعض الخوارج
أي وإياك كالحجر والزجاجة إن وقع عليها رضها وإن وقعت عليه
فضها وكما **قال الشاعر**

وأنت يمينا كالزجاج رقيقة ... وما حلفت إلا التحنث من أجلي

وكما قال الكرخي وهو يعاتب صديقا له على إذاعة سره

ترى لذلك كأن الزجاجة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر

فأجدر من الشعر كمن الا انجبار له فلله حاجة كسر لمن تجبر
وكما قال ابن علاف النهرواني للزجاج النحوي
لكم عهد قد حفظناه فاعيننا صدود وعهد ما داود كما كنت بالامس نعهده

مدح الذهب ١٥

قال شداد الحاربي الذهب ابقى الجواهر على الدفن واصبرها على الماء واقلها نقصانا على النار وهو اوزن من كل ذي وزن اذا كان في مقدار شخصه وجميع جواهر الارض والفلز اذا وضع على الزيبق طفا ولو كان ذا وزن ثقيل وجرم عظيم ولو وضعت عليه قيراطا من الذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء ولا يجوز ولا يصلح ان تشد الاسنان المتزعزعة بغيره وان يوضع في مكان الانوف المصطلمة سواه ومثله اجود الاميال واصلحها في العين لا يجلو ولا [illegible] لصلاح طبعه ولموافقة جوهره لجوهر الناظر وله حسنه وبهاؤه في العيون وحلاوته في الصدور ومنه الدنانير والصفائح التي تكون في سقوف الملوك وعليه مدار التبايع منذ الزمان الاول وهو ثمن لكل شيء ثم هو فوق الفضة مع حسنها وكرمها باضعاف واضعاف اضعاف وله الرجوع وقلة

النقصان والمرض التي تمسه ويسلم عليها تحيل الفضة الى جوهرها في السنين اليسيرة وتقلب الحديد الى طبعها في الايام القليلة والطبخ الذي يكون في قدره اغذا وامرا واصح في الجوف واطيب وسئل علي بن ابي طالب عن الكبريت الاحمر فقال هو الذهب وقال النبي صلى الله عليه لو ان لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع واجراه في ضرب المثل به كل مجرى وقال ابو زيد البلخي معلوم انه ليس من الجواهر الموجودة في العالم اطول بقاء من الذهب لما يرى من انقضاء الطويل دون فساد يعرض فيه حتى ان العامة لتحكم بان جوهره لا فساد فيه البتة وانما خص بهذا البقاء الطويل وابطاء آفات التغير والاستحالة عنه بسبب اعتدال مزاجه في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فان كلما خرج من الاشياء المركبة عن الاعتدال الى افراط كيفية من الكيفيات الاربع عليه كان معرضا بغلبة تلك الكيفية لاسراع الفساد اليه اذ كانت صورة الكون انما قامت باعتدال الامزجة وكذلك الفساد الذي هو ضد الكون انما هو بسبب الخروج عن الاعتدال فلما خص جوهر الذهب من

الزمان

المزاج المعتدل بما لم يشركه فيه شيء من الجواهر الأخر أبطأت أوقات
التغير والاستحالة عنه من أجل اعتدال مزاجه لم يوجد فيه
الصدأ والنهولة ما يوجد في هذه الجواهر الأخر إذ كان كل منها
بحسب الأطعمة والأشربة المجعولة فيه نوعا من فساد الطعم والرائحة
ما خلاه فإن كل ما أكل وشرب فيه وجد سليما من هذا العارض ولذلك
اختار الملوك العظماء الأكل والشرب فيه ووعد الله عباده به في دار
الثواب فقال سبحانه ويطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب كما قال
في باب الحلية والزينة جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب
وذلك لما كانت العادة جرت به من تنعم الملوك في هذه الدنيا بأن يحلوا
أعضاءهم الشريفة بالذهب كذلك شأنهم إذا بالغوا في إكرام من يثقون
منه على بلاء جميل في الحرب والدفاع عن حوزة الملك أن يسوروه بأسورة
من الذهب ولجلالة أقدارها عندهم ما حكى الله عز اسمه في قصة موسى عن
فرعون أنه قال فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة
ومن أحسن ما وصف به الذهب قول قدامة حكيم المشرق نسيم مركوم
وشعاع معقود فأتى بعلة عجيبة حين ذكر أنه شعاع الشمس وقد

انعقد فصار جامدا هـ وقلت في الكتاب المبهج الذهب خير مال لحاضر
لباد أو حاضر هـ وفيه من ملك الصفراء أبيض وجهه واخضر عيشه واسود
وجه عدوه

ذم الذهب

قال سهل بن هارون اسم الذهب يتطير منه ولا يتفاءل به ومن لومه رجعة
المعروف إلى اللئام وأطواعه عن نسب الكرام هـ وشكل الشيء منجذب إليه
والذهب فتان لمن أصابه وهو من مصائد إبليس ولذلك ما لو أهلك
الرجال الأحمران هـ وقلت في كتاب المبهج ما أسرع ذهاب الذهب
وانفضاضا من الفضة

مدح الشطرنج

أحسن ما قيل في مدحها قول ابن المعتز

يا عائب الشطرنج من جهله ... وليس في الشطرنج من باس
فيها علم وفي لعبها ... شغل عن الغيبة للناس
وصاحب الحرب تدبيرها ... يزداد في الشدة والباس
ويذهل العاشق عن عشقه ... وصاحب الكأس عن الكاس
وأهلها من حسن آدابهم ... من خيرة أصحاب وجلاس

وقد أجاد ابن الرومي في قوله وهو يمدح النديم الشطرنجي

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها عواقب لا تنمو لها عين جاهل
فأجدى على السلطان في ذاك أنه يريه بها كيف انتقاء الفوائد
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته مثال لتصريف القنا والقنابل
تأمل حجاه في دقائق هزله تجده حجاه في الخطوب الجلائل
وسئل أبو محمد اليزيدي عن المتلاعبين بالشطرنج فقال اذا تمت
أيديهما من الضرب والانحدار والسنتهما من الفخر والعدوان وصلواتهما
من السهو والنسيان كانت ابدا بين الخوان والاعلان وكان المأمون
يقول عجبت لنزاع في ذراع يلعبها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا
لها على غاية وكان سعيد بن جبير يقول ما وضع الشطرنج الا لامر
عظيم

ذم الشطرنج

ذكر الصولي في كتاب شعراء مصر أن الخراساني الشاعر كان نحادثا
يلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد بكلية له فقال صاحبها ابدا عليك
بالله كاذبا وهو مشغول مهموم ويغتدي مبطلا ويشتم نفسه ويسخط
ربه وكل صاعد تجوز المكائد فيها غيرها فان صاحبها يغلب في ساعة
فينقضي دعواه وهي لعب الصائم اذا جاع والعابد اذا عزل والمجنون

حتى يفيق وانما هي هنم خشب خشبا ثم ان الرجل ليبدل عن غلامه
فيقال هو يلعب فيضربه ولا يستحيي ان يقال قم حتى تلعب وهو يلعبه
وانت تقول في الخماسي ما احذقه وفي الطنبوري لضربه فاذا عبرت عن
الشطرنجي قلت ما العبه فما تقول في صناعة العبارة عن الكمال احسن
من العبارة عن صاحبها وفي كتاب يتيمة الدهر لمؤلف هذا الكتاب أن
أبا القاسم الكسروي كان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل
بها ويطنب في ذكر عيوبها ومثالبها ويقول لا ترى شطرنجيا غنيا
الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج
فاذا جرى شيء منها جاء التهزيز ولا يتمثل بها الا فيما يعاب ويذم
ويكره فاذا اجرى السكران قيل قد فرزن واذا كان مع الغلام الصبيح
رقيب ثقيل قيل معه فرزين بند واذا استحق قد الانسان قيل
كأنه بيذق واذا رأى طفيلي يكثر الاكل على المائدة ويتحفل في
المواكلة قيل انظروا الى يد الكشخان كأنها الرخ في الرقعة واذا رأى
زيادة لا يحتاج اليها قيل زيد في الشطرنج بغلة واذا شيب دخيل
تساقط قيل له من اين انت في الرقعة واذا ذكر وضيع ارتفع قيل منى

فرزنت بابيق

مدح النرجس ٥٣

كان جالينوس يقول من كان له رغيفان فليجعل أحدهما في ثمن النرجس لأن الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح ❊ وكان أنوشروان يعظم النرجس ويشبهه بالعيون فيقول إني لأستحيي أن أجامع في بيت فيه نرجس ❊ وكان الحسن بن سهل يقول من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف ❊ ووصف بعض البلغاء النرجس فقال كأنه عيون عين وورقه ورق وساقه زمرد ❊ وقد أكثر الشعراء في وصفه ومن أحسن ما قالوا قول أبي نواس

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات كأن حداقها ذهب سبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك (قضب الزبرجد)

وقال ابن طباطبا العلوي ونرجس ذي نضرة غضه
حث على اللهو الفتى وحضه ❊ ودبن جد وذهب وفضه

وقال ابن الرومي يفضله على الورد

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلاً تورده عليه شاهد

لم يخجل الورد المورد لونه إلا وناحله الفضيلة عاند (أي)
للنرجس الفضل المبين وإن أبى آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائد زهر الربيع وأن هذا طارد
وإذا احتفظت به فأمتع صاحب وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك في الملاح سميه أبداً فإنك لا محالة واجد
والورد إن فتشت فرد في اسمه ما في الملاح له سمي واحد
هذي النجوم هي التي ربتهما بحيا السحاب كما يربي الوالد
فانظر إلى الأخوين من أدناهما شبهاً بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة ورياسة لولا القياس البارد

❊ وقال أيضاً

للنرجس الفضل برغم من رغم على صنوف الورد والفضل قسم
العين قبل الأنف وهي المبتسم فما الورد والخد وهو الملتثم
ما أشكل الشكل وما أذكى الشم ما هو إلا نعمة من النعم

وقال أيضاً

أرى حسن هذا النرجس الغض مخبراً عن الشأن ليس النبية محرما

ذم النرجس

لما فضل ابن الرومي النرجس على الورد تصدى له الشعراء بالمعارضة والمناقضة فقال ابن حاجب

يا ذا الذي للحق ظل يعانده وقد استتب له الطريق البارد
فأبيت نرجسك الذي فضلته بالورد ما هذا قياس راشد
وعدلت عن عدل الحكومة جائرا القضية فيهما عليك أوابد
وجعلت أصلك أن هذا قائد زهر الربيع وأن هذا طارد
والنرجس البادي وليس لفضله والورد بعد النور أجمع وارد
وإذا الجيوش تتابعت في موكب فبآخر منها يجيء القائد
وأجل من عين يشين بياضها لون من اليرقان أصفر فاسد
خد تورد لونه كنعيمه فعليه من خلع الربيع مجاسد
والورد دان مستقر أصله والنرجس المضعوف غصن مائد
فتأمل الاثنين أيهما ترى أعراق منصبه فذاك الماجد
ما أخر الورد الخطير تقدما للنرجس المرذول إلا جاحد

وقال أيضا

يا ظالما يفضل النرجس الرذل على الورد قد تحاملت ما قصد

صبغة الورد صبغة الدم والنرجس مثل العيون في الشبه نجد
بك الجسم كله الدم لا العين عقول الورى بذلك تشهد
قد رأينا الأعمى يعيش بلا عين وإن يفقد الدم المرء يفقد
وإذا كان ذا أكرم أقدام الإنسان من عينيه أجل وأمجد
ولشتان بين حيين هذا أصفر لونه وذاك مورد
صفرة اللون علة والبياض المحض عيب مجدد لمن يجحد
فلما امتزجت لونين كل منهما عيبه مبين موكد

وقال أبو العلاء المروي

انظر إلى نرجس بدت صبحا لعينيك منه طاقه
واكتب أسامي مشبهيه بالعين في دفتر الحماقه
وأي حسن يرى لطرف مع زمان تحل ماقه
كأنه قد ركبت عليها صفرة تبيض على رقاقه

وقال آخر

قد أجاد الورد حجته في مقال غير ذي خطل
قال إذ أبصرت نرجسة غضة في كف ذي غزل
هي تحكي عين ذي مرض يقطع الأيام بالعلل

مدح الورد ٥٤ أحسن ما قيل في ذلك على كثرته

قول ابن [illegible] الهاشمي

للورد عندي محل لأنه لا يمل ❊ كل الرياحين جند وهو الأمير الأجل

وقول أبي الفرج الببغاء زمن الورد أظرف الأزمان ❊ وأوان الربيع خير أوان

أشرق النور زاهرا في أشرق الدهر فصل فيه أشرف القيان

وعندي نظيرها لأحد من الفضلاء يستظرف **قول ابن أبي البغل**

تمتع من الورد القليل بقاؤه ❊ وكأنك لم تحفل به إذ فاته

وودعه بالتقبيل والشم والبكا ❊ وداع حبيب بعد طول لقائه

ومما يدخل في الأذن بلا إذن **قول علي بن الجهم**

زائر يهدي إلينا نفسه في كل عام ❊ حسن الوجه ذكي الريح ألف للندام

عمره عشرون يوما ثم يمضي بسلام

وقوله أيضا

ما أخطأ الورد منك شيئا ❊ حسنا وطيبا ولا ملالا

أقام حتى إذا أنسنا ❊ بقربه أسرع انتقالا

وقلت في كتاب المبهج إذا ورد الورد صدر البرد

ذم الورد كان ابن الرومي يذم الورد ويهجنه

لأنه كان [illegible] وقال فيه ما هو من عجائب التشبيه ونوادر

التهجين والتقبيح

وقائل لم هجرت الورد مقتبلا ❊ فقلت من بغضه عندي ومن غلطه

كأنه سرم بغل حين يخرجه ❊ عند البراز وباقي الروث في وسطه

وقال غيره النرجس الغض لذات الغنج ❊ والورد من شم رعاع الهمج

أما تراه حين يبدو طالعا ❊ كأنه سرم حمار قد خرج

وبلغني أن الأمير خلف بن أحمد رحمه الله كان يعجبه قول أبي الفتح البستي

وكثيرا ما كان ينشده

لا يغرنك أنني لين اللمس ❊ فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ❊ ثم فيه لآخرين زكام

مدح الشتاء ٥٥ أحسن ما قيل في ذلك قول النبي صلى

الله عليه الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصام وطال ليله فقام

وقد أحسن أبو تمام **في قوله**

إن الشتاء على شناعة وجهه ❊ لهو المفيد طلاقة المصطاف

وقوله أيضاً لولا الذي غرس الشتاء بكفه لاقى المصيف هشائماً لا تثمر
وقال آخر خرج الصيف من باطن الشتاء وابتسام الثرى بكاء السماء
ومن محاسن الشتاء ومفاخره طول الليل الذي جعله الله لباساً وسكناً
وبرد الماء الذي هو مادة الحيوة وانقطاع الذباب والبعوض وعدم
ذوات السموم من الهوام وآفاتها على الأجسام والطعام وهو حبيب
الملوك والأليف المجتمعين يطيب لهم فيه الأكل والشرب ويجتمع
الشمل ويظهر فيه فضل الغني على الفقير وهو زمان الراحة وزمان
الاجتماع كما أن الصيف زمان الكد والنصب ولذلك قيل من لم يغل
دماغه صايفاً لم تغل قدوره شاتياً ومدح بعض الدهاقين الشتاء
فقال فيه آكل ما جمعت وأتمتع بما ادخرت وأي شيء أحسن من الكانون
في كانون ولبس الخز والسمور والقعود في الطوابق مع الأحباب وتناول
الجرذاج والكباب والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج بثلج
الصدر وقال بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه ان الشتاء غنيمة الكتاب
قصر النهار وطول ليل ممتع فيه تلذ بقينة وشراب

ذم الشتاء

قال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المساكين والحر يودي والبرد يقتل وقال
الجاحظ الشتاء عند الناس هو الكلب الكلب والعدو الحاضر تتأهب
له كما يتأهب للجيش وتستعد له كما تستعد للغرق والحريق وقال
غيره الشتاء عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء
ويجمد له الماء وتنحجر الفقراء وما ظنك بما يزوي الوجوه ويعمش
العيون ويسيل الأنوف ويغير الألوان ويقشف الأبدان ويميت
كثيراً من الحيوان وكم فيه من يوم أرضه كالقوارير اللامقد وهواؤه
كالزنابير اللاسعة وليله يحول بين الكلب وهريره والأسد وزئيره
والماء وخريره والطير وصفيره وقال آخر نحن في الشتاءين
ثلج وزلق ودمق

مدح الصيف ٥٦

الصيف خفيف المؤونة خليل المعونة كثير النفع قليل الضر
وهو أم الحب والرياحين وبنات البساتين وراحة الفقراء
والمساكين وستر الضعفاء والمحتاجين والعون على عبادة رب
العالمين وطبيعته طبع الشباب الذي هو باكورة الحيوة كما أن

الشتاء طبيخ مطبخ الهم الذي هو بغي العدم

ذم الصيف

في أحد شمله قوع شدة الحر من فيح جهنم. وقلت في كتاب المبهج حر الصيف كحد السيف. وقلت

رب يوم هواؤه يتلظى في حشا أي فؤاد صب متيم

قلت إذ صك حره حر وجهي ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وكتب إلى بعض الكتاب أشكو إلى مولاي صيفا لا يطيب معه عيش ولا ينفع معه ثلج ولا خيش. وكتب آخر كيف حاله في هذا الحر وقد قوى سلطان الحر وفرش بساط الجمر ولا سيما في الهاجرة التي هي كقلب المهجور وكالتنور المسجور. وكتب آخر لا مرحبا بالصيف من ضيف موعود بالحيات والعقارب وأم الدبان والخنافس وطير الليل التي هي آفة الخلق

من كل شائلة الخرطوم طاغية لا تحجب السجف منها ولا الكلل

طافوا علينا وأن الصيف يطبخنا حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

مدح المطر ٥٧

قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر. وكان النبي صلى الله عليه يكشف رأسه للمطر تعرضا لرحمة الله. وقال تعالى وأنزلنا من السماء

ماء طهورا. وقال سبحانه ونزلنا من السماء ماء مباركا. وعلي بن أبي طالب يقول من كان به داء قديم فليستوهب امرأته درهما من مهرها وليشتر به عسلا ويشربه بماء السماء ليكون قد اجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك يريد قوله جل ذكره فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا. وكان ابن عباس يقول المطر بعل الأرض يعني أنه يلقحها ومنه أخذ ابن المعتز قوله

ومزنة مشعلة البارق تبكي على الأرض بكا العاشق

تلقح بالقطر بطون الثرى والقطر بعل التربة العاتق

وقال بعض البلغاء مرحبا بالغيث الذي أغاث الأنام وأروى الهضاب والآكام وأحيا النبات والسوام. وقال آخر يا فرحتا للغيث الذي أحيا الورى وروى الثرى ونبه عيون النور من الكرى. وقال أبو تمام

غيث أتانا وهو من خفض قضت به السماء أحق لمن أرض مضى وشتى لها لا انقضى

وقال أحمد بن أبي طاهر

وعارض مبتسم قد استهل وقد أطناب الغمام وأظل

حتى اذا أثرى الثرى من وبله وأخصب الجدب تولى وارتحل له
لم أنزل الله به من رحمة ومن حياة بحياة اذ نزل
وقال مؤلف الكتاب أي هذا الشارب النظام وجاء الحيا اذ جاء الغمام
فللومي في أرضي بكاء وللزرع ابتهاج وابتسام

ذم المطر المطر مفسد الميعاد والغيث لا يخلو من العبث له وفي كتاب المبهج قدما عاقت الأمطار عن الأوطار وحالت الأوحال عن الوصال **وقال أبو نواس**

هو الغيث الا أنه باتصاله أذى ليس قول الناس فيه بباطل
لئن كان أحيا كل رطب ويابس لقد حبس الأحباب وسط المنازل له
وقال أبو علي البصير من تكن هذه السماء عليه نعمة أو يكن بها مسرورا
فلقد أصبحت علينا عذابا ولقينا منها أذى وشرورا
له أيها الغيث كنت بوسا وفقرا لي وللناس حنطة وشعيرا
وقال أيضا رحمة صيرت علي عذابا تركت منزلي خرابا يبابا
لم يدع لي بها ولا العيال سقف بيت يكف عنا السحابا
أمطرتنا خلاف ما أمطرت للناس لبنا وجندلا وترابا

وقال ابن المعتز دنونا فما نزداد يا رب من حيا وأنت على ما في النفوس شهيد
سقوف بيوتي صرن أرضا أدوسها وحيطان داري ركع وسجود

مدح القمر هو نور الله وأحد النيرين وهو الذي يجعل الليل نهارا ويؤنس به كل وجه حسن ويتمثل به في كل نجيبة وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعرابيا نام ليلا عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى الله يده وقال أشهد لقد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك واذا شاء نورك واذا أراد كورك فلا أعلم مزيدا أسئله لك ولئن أهديت الى قلبي سرورا لقد أهدى الله اليك نورا **ثم أنشأ يقول**

ماذا أقول وقولي فيك ذو خطل وقد كفيتني التفصيل والجملا
ان قلت لا زلت علويا فأنت كذا أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

ذم القمر أبلغ ما قيل في ذلك قول بعض الظرفاء الأدباء من سكن دور الكرى وقد قيل له أنظر الى القمر ما أحسنه فقال وأبيه ما أنظر اليه لبغضي له قيل ولم قال لأن فيه عيوبا لو كانت في حمار لرد بالعيب قيل وما هي قال أما يصدقه العيان ويشهد به الآثار

فإنه يهدم العمر ويقرب الأجل ويعجل البين ويوجب كره البيت ويقرض
الكبار ويسحب الألوان ويسخن الماء ويورث الزكام ويفسد اللحم ويعين
السارق ويفضح العاشق الطارق ه‍ ونادى ابن المعتز في ليلة من ليالي
البدر بالبدر أو ذكره في الصيف فقال يذم القمر

يا سارق الأنوار من شمس الضحى   يا مثكلي طيب الكرى ومنغصي
أما ضياء الشمس فيك فناقص   وأرى زيادة جرمها لم تنقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل   متسلخ بهقاً كوجه الأبرص

مدح السفر

قد مدح الله عز اسمه المسافرين فقال وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ه‍ وأمر تعالى بالسفر فقال فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ه‍ وقال جل جلاله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور وفي الحديث المرفوع سافروا تصحوا وتغنموا ه‍ وفي التوراة يا ابن آدم جدد سفراً أحدث لك رزقاً ه‍ وقالت الحكماء إن السفر أحد أسباب المعاش التي بها قوامه ونظامه لأن الله عز ذكره لم يجمع منافع الدنيا في أرض بل فرقها وأحوج البعض إلى البعض ه‍ ومن فضله أن صاحبه يرى

من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علماً بقدرة الله تعالى وحكمته ويدعوه إلى شكر نعمته ويجمع المكاسب ويسمع العجائب ويكسب التجارب ويفتح المذاهب ويشد الأبدان وينشط الكسلان ويسلي الأحزان ويطرد الأسقام ويشهي الطعام ويحط سورة الكبر ويبعث على طلب الذكر ولذلك قال حاتم الطائي

إذا لزم الناس البيوت وجدتهم   عماة عن الأخبار خرق المكاسب

وقال ابن المعتز أشقى من المسافر إلى الأمل من قعد في اليأس وقال غيره

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفراً   بل المقام على بأس هو السفر

وقلت في كتاب المبهج من آثر السفر على القعود فأجدر بأن يعود دون العود ه‍ وفيه أيضاً ربما أسفر السفر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر

ذم السفر

في الحديث المرفوع إن المسافر ومتاعه لعلى قلت إلا ما وقى الله أي على هلاك ه‍ وقيل لبعض الحكماء إن السفر قطعة من العذاب فقال لا بل العذاب قطعة من السفر ونظمه من قال

إن العذاب قطعة من السفر   يا رب فارددني إلى بيت الحضر

وكان الحجاج يقول لولا فرحة الإياب لما عذبت أعدائي إلا بالسفر
وكان يقال ثلاثة يعذرون على سوء الخلق المريض والمسافر والصائم
وقال بعض الحكماء السفر والسقم والقتال ثلاثة متقاربة فالسفر
سفينة الأذى والسقم حريق الجسد والقتال منبت المنايا
وقال آخر السفر متعب مكرب والحديث ينقص ويبلي كربه وكان
يقال طول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة وكان النبي صلى الله عليه
يتعوذ من وعثاء السفر وقلت في كتاب المبهج رب تصحيفة أدت
رب سفر لسقر

مدح الغربة

أحسن ما قيل في ذلك قول البرقعي

إذا صارم قر في غمده حوى غيره الفضل يوم الجلاد
إذا النار ضاق بها زندها ففسحتها في فراق الزناد
ففي الاغتراب وفي الاضطراب منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وحملك
وقال بعض الحكماء اهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك وأوحش أهلك
إذا كان في إيحاشهم أنسك وكان سهل بن هارون يقول استجز

يقطع نفسه لصلة وطنه ومما ينسب إلى نفر من الشعراء قول بعضهم

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها أهلا بأهل وجيرانا بجيران

ومن مشهور ما ينشد في هذا الباب قول الآخر

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان
والأرض شيء كلها واحد ويخلف الجيران جيران

وقول الآخر

إذا ألفت في أرض معاشا وسلوة فلا تكثرن منها النزاع إلى الوطن
فما هي إلا بلدة مثل بلدة وخيرهما ما كان عونا على الزمن

ومما يستجاد في مدح الغربة قول أبي فراس الحمداني

ما المرء ببالغ في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره

وقول الطغرائي (الأبيوردي)

أرى وطني كعشي ولكن أنأى عنه في طلب المعاش
ولولا أن كسب القوت فرض لما برح الفراخ من العشاش

وأنشدني أبو الفتح البستي

لئن تنقلت من دار إلى دار وصرت بعد ثواء رهن أسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث ثوى والشمس في كل برج ذات أنوار

ذم الغربة

كان يقال النقلة مثلة والغربة كربة

والفرقة حرقة ❁ وقال بعض الحكماء الغريب كالغرس الذي زايل أرضه وفقد
شربه فهو ذاوٍ لا ينضر وذابل لا يثمر ❁ وقال آخر الغريب كالوحش النائي
عن وطنه فهو لكل رامٍ رمية ولكل سبع فريسة ❁ وقال آخر الغريب
كاليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه فلا أمّ ترأمه ولا أب يرق له ❁ وقال
آخر عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك ❁ ونظمه من قال

لقرب الدار في الإقتار خير من العيش الموسع في اغتراب

وكان يقال إذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل ❁ وقال النابغة

محلّي في ديارك إن قوماً متى يدعوا ديارهم يهونوا ❁ وقال الأعشى

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرّاً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وإن يسئ يكن ما أساء كالنار في رأس كبكبا

وقال آخر ومن يناء عن دار العشيرة لم يزل عليه رعود جمّة وبروق

وقال العتابي فيا ابن أبي لا تغترب إن غربتي سقتني بكف الضيم ما الحناظل

وقال آخر وإن اغتراب المرء من غير خلة ولا همة يسمو بها لعجيب
محسب الفتى ذلاً وإن أدرك الغنى ونال ثراءً أن يقال غريب

وقال آخر طلب المعاش مفرق بين الأحبة والوطن ومصيّر جلد الرجال إلى الضراعة
والوهن

حتى يقاد كما يقاد النضو في أثنى الرسن ثم المنية بعده فكأنه ما لم يكن

❁ وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه ❁

لا يعدم المرء كِنّاً يستكن به ومنعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم قلّت مهابته كالليث يحقر لما غاب عن غابه

مدح الفراق ٦١

قال بعض الظرفاء في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والأنس بالمكاتبة وقال الشاعر

ولست فرحة الأوبات إلا لموقوف على ترح الوداع

❁ وكتب بعض الكتاب جزى الله الفراق خيراً فإنما هو زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل وتأميل وتوقع وقبّح الله التلاقي فإنما هو مسرة لحظة ومساءة أيام وابتهاج ساعة واكتئاب زمان ❁ وكتب آخر أنا لا أكره الاجتماع ولا أكره الفراق لأن مع الاجتماع محاذرة الفراق وقصور السرور مع الفراق وغصة تخففها توسع أسعاف النوى وتأميل الأوبة والرجعى

وقال الشاعر

ليس عندي شحط النوى بعظيم فيه غمّ وفيه كشف غموم

مَن يكن يكره الفراق فإني أشتهيه للذة التسليم
إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة لقدوم

وقال بعض الظرفاء لو قلت أني لم أجد للرحيل ألماً وللبين حرقة لقلت حقاً لأني نلت به من اللقاء وأنس العناق ما كان معدوماً أيام الاجتماع **وقال الشاعر**

فأحسن بنا والدمع بالدمع واشج بمازجه والخد بالخد ملصق
وقد ضمنا وشك التلاقي ولفنا عناق على أعناقنا ثم ضيق
فلم تر إلا مخبراً عن صبابة بشكوى وإلا عبرة تترقرق
ومن قبل قبل التشكي وبعده نكاد بها من شدة اللثم نشرق
فلومهم الناس الفراق وجئته لحبيب من أجل التلاقي التفرق

وقال آخر آه من جيد دمعة المشتاق ما ألذ البكاء عند الفراق
لذة الدمع عند بين حبيب كعناق الحبيب وقت التلاقي

ذم الفراق كان يقال لما خلق الفراق إلا لتعذيب العشاق وقال بعضهم فراق الأحباب سقام الألباب وقال آخر حق للفراق أن تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح منه

النفوس وقال آخر فراق الحبيب يشيب الوليد ويذيب الحديد وقال آخر الشيئان أهون من الفراق وقال النظام لو كانت للفراق صورة لراعت القلوب ولهدت الجبال ولجمر الغضا أقل توهجاً من ناره لو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب **وقال الشاعر**

لو أن مالكاً عالم بجوى الهوى وبما له من صالح العشاق
ما عذب الجان إلا بالهوى وإذا اشتعلوا لوعاتهم بفراق

وقال آخر ولقد نظرت إلى الفراق فلم أجد للموت لو فقد الفراق سبيلا

أخذه أبو الطيب المتنبي **فقال**

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وأنشدت لأبي العباس أحمد بن إبراهيم أحمد الضبي

لا تركنن إلى الفراق فإنه مر المذاق
والشمس عند غروبها تصفر من خوف الفراق

وقيل سواء فراق الروح وفراق عديل الروح وقال بعض البلغاء لا غرو أن يفرق الفراق بين الروح والبدن ويبرز المبتلى به والباقي في قرن

مدح البكاء

كان يوسف النبي عليه السلم اذا اشتد به الحزن على أبيه دخل
وصبّ عبرته ثم خرج **فصل** للأستاذ أبي بكر الخوارزمي
أن الفجيعة اذا لم تجاوب وتخيش من البكاء ولم يخفف من أثقالها
بالتشييع والأشكاء تضاعف داؤها وزادت أعباؤها وعند
داؤها **فصل** لأبي الحسن علي بن القسم القاشاني قد شفيت
غليلي بما استدررته من أسراب الدموع المتحيرة وخففت عني
بعض البرحاء بما استنزفته من أخلافها المتبددة **فصل**
لأبي اسحق الصابي أن في استيقاف العبرة واطلاق الدموع والاستهلال
بالبكاء والنشيج واعلان الصياح والضجيج تنفيسا من برحاء القلوب
وتخفيفا من أثقال الكروب **وقال الشاعر** امرؤ القيس

وان شفاءي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وقال آخر

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نجي البلابل

وقال ابن الرومي وذكر تخفيفها الهم بالبكاء

ألدمع في العين لا نوم ولا نظر ولا مجالته في معنى له خلقا

بالضم والمد شدة الأذى
الحلبي ٢

فلم أجد لذلك المغني وعيشكما الا البكاء اذا ما طارق طرقا

وقال أيضا

أبك فما أنفع ما في البكا أن البكا للحزن تحليل
وهو اذا أنت تأملته حزن على خديك محلول

ذم البكاء قال بعض الحكماء لبعض الملوك وقد رآه
يبكي من مصيبة ليس يليق بالسلطان ما هو عادة الصبيان والنسوان
وكان محمد بن عبد الملك يقول البكاء من خور الطبيعة وضعف النحيزة
وترك البكاء في الخطوب النزل من أخلاق القوم البزل **وقال الشاعر**

يبكى علينا ولا نبكي على أحد نحن أغلظ أكبادا من الإبل

ومن أحسن ما قيل في التجلد وترك البكاء عند المصائب **قول الشاعر**

فقمنا رجالا للتجلد والأسى وتلك الغواني للبكا والمآتم **وقول البحتري**

ولعمري ما العجز عندي الا أن تبيت الرجال تبكي النساء ومن أحسن
وأبلغ ما قيل في ترك البكاء عند فراق الأحبة والرزايا **قول الشاعر**

ترحل من هويت وكل شيء ستكشف أو ستعرف حين تمضي
وما الهائع عن ذكرى حبيب كعذر أنت حين لعدم أمر

أبت نفسي البكاء لرزء شيء كفى شجواً لنفسي رزء نفسي
أأجزع وحشة لفراق إلف وقد وطنتها لحلول رمسي
ثم أبيت الدهر تجزع ثم تأسو بؤسي أو بعض أو بيتي

مدح الرؤيا ٦٣

ابن عباس في قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث قال تعبير الرؤيا. وفي الحديث المرفوع ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الحسنة يراها الرجل الصالح أو ترى له ثم قرأ لهم البشرى في الحيوة الدنيا. وفي الحديث أيضا أن الرؤيا جزء واحد من ستة وأربعين جزءا من النبوة. وكان يقال الرؤيا الحسنة قرة للعين وقوة للظهر. وأهل الهند تقول من رأى رؤيا حسنة فكأنه لم ينم ومن لم ينم فقد زيد في عمره لأن النوم أخو الموت. وقال بعض الحكماء الرؤيا الصالحة بشارة وفي العمر زيادة. وقال آخر الرؤيا الحسنة هي البشرى بالنعمى. وقال بعض الظرفاء مرحبا بالرؤيا فإنها تجمع بين المحبين وبينهما بعد المشرقين.

ذم الرؤيا

أحسن ما قيل في ذلك قول بعض المجربين لعن الله الرؤيا فخيرها

غائب وشرها حاضر وأصدقها ما يوجب الغسل. وقال ابن بسام

أرى في منامي كل شيء تسوءني ورؤياي بعد النوم أبهى وأقبح
فإن كان خيراً كان أضغاث حالم وإن كان شراً جاءني قبل أصبح

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي الحنيف العكبري

قال رؤيا المنام عندك حق قلت هيهات كل ذاك بخار
ليت يقظاتهم يصح له الأمر فكيف المغط والنخار

وحكي لي ابن سيرين أن رجلا رأى في المنام كأن له غنما يطلب منه بعشرة ولم يبعها فلما انتبه وفتح عينيه لم ير شيئا فغمضها ومد يده وقال هاتوا خمسة خمسة. وقال داود المصاب رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل رأيت كأني أعطيت بدرة فمن ثقلها أحدثت في سراويلي فانتبهت فرأيت الحدث ولم أر البدرة.

مدح الهدية ٦٤

في الحديث المرفوع تهادوا تحابوا. وفيه أيضا تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور وتهادوا فإن الهدية تسل السخيمة. وقال الشاعر

إن الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوبا

تُدني البعيدَ من الهوى حتى تصيّره قريبا
وتُعيد مُعتقدَ العداوة بعد نفرته حبيبا

وقالت عائشة الهدية سُنّة رسول الله صلى الله عليه وأدب الملوك وعمارة المودة بين الاخوان ۝ وكان يقال أهدوا الى الولاة فإنهم ان لم يقبلوا أحبّوا ۝ وكان الفضل بن سهل ذو الرياستين يقول ما أرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سُلّت السخائم ولا دُفعت المغارم ولا استُميل المحبوب ولا تُوقّي المحذور بمثل الهدية ومن أحسن ما قيل في الاهداء الى الملوك قول أحمد بن يوسف الكاتب

على العبد حقٌّ فهو لا بدّ فاعله وإن عظم المولى وجلّت فواضله
ألم ترنا نُهدي الى الله ماله وإن كان عنه ذا غنىً فهو قابله

وكتب بعض الكتّاب الى صديق له وجدتُ المودة منقطعةً ما دامت الحشمة عليها متسلطةً وليس يزيل سلطان الحشمة الا المؤانسة ولا تقع المؤانسة الا بالمهاداة والملاطفة ۝ وكتب أبو العيناء الى بعض الوزراء قد بعثتُ الى الوزير أيّده الله بباكورة عنب فان كنتُ سبقتُ المُهدين اليها فلي فضل السبق وان كنتُ مسبوقا فلي فضل النيّة ۝ وكان

يقال من قدّم هديته نال أمنيته ومن قدّم المؤونة لم يظفر بالمعونة وقال بعضهم نعم الشيء الهدية امام الحاجة ۝ وقال آخر الهدية تفتح الباب المغلق ۝ وقال آخر الهدايا تذهب بالسخائم ۝ وفي الخبر الهدية رزق من الله فمن أُهدي اليه شيء فليقبله ۝ وقال بعض العلماء لعظم خطر الهدية وجلالة قدرها على وجه الدهر قالت ملكة سبا وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بمَ يرجع المرسلون ۝ وقال الشاعر

الهدايا من القلوب مكان وحقيقٌ بحبّها الانسان

ذمّ الهدية أُهدي الى عمر بن عبد العزيز هدية فردّها فقيل له ان النبي صلى الله عليه كان يقبل الهدية فقال كانت الهدية له هدية واليوم هي لنا رشوة وقد لعن الراشي والمرتشي ۝ وقال بعض السلف الهدية للعامل غلول والهدية في عمل السلطان رشوة ۝ وأُهدي الى دهقان هدية فكرهها وأظهر الجزع فعاتبه أصحابه فقال لئن كان ابتدأني بها انه ليدعوني الى ان أتقلّد له منّة ولئن كافأني على معروف لي عنده انه ليسألني أخذه من ذلك فمن أيّ هذين لا أجزع

مدح الدَّين ٦٥ كانت عائشة رضي الله عنها تتديّن

في غير حاجة فقيل لها في ذلك فقالت سمعت النبي صلى الله عليه يقول من
كان عليه دين وفي نيته قضاؤه كان الله معه الى ان يقضيه فانا احب
ان يكون الله معي ❊ وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه المستدين تاجر
الله في ارضه ❊ وفي الحديث مكتوب على باب الجنة القرض بثمانية عشر
والصدقة بعشرة امثالها فقيل فلم ذلك يا رسول الله قال لان الصدقة
ربما في يد غني عنها وصاحب القرض لا يستدين الا لحاجة ضرورية
وقال بعض السلف لان اقرض مالي مرتين احب الي من ان اتصدق
به مرة واحدة ❊ وفي الخبر من استدان دينا عن حاجة وهو ينوي
قضاه بارك الله له فيه واعانه على قضائه ❊ ودخل عتبة بن عمرو
على خالد القسري فقال خالد يعرض به ان ها هنا رجالا اذا افتقروا اموالهم
استدانوا فقال عتبة ان رجالا تكون اموالهم اكثر من مروءاتهم فلا يدانون
ورجالا تكون مروءاتهم اكثر من اموالهم فيدانون على سعة ما عند الله فخجل
خالد وقال انك منهم وما علمت ❊ وكان سعيد بن مسلم يقول كثرة
الدين من علامات المفلسين

ذم الدين

في الخبر الدين وجع كوجع العين ولا غم كغم الدين ❊ وكان يقال صاحب

الدين ذليل بالنهار مهموم بالليل ❊ وقال بعض السلف الدين غل
الله في ارضه فاذا اراد ان يذل عبدا جعله منه طوقا في عنقه ❊
وقال الغني الدين عقلة الشريف ❊ وسأل عمر بن عبد العزيز عن
صديق له فقيل قد توارى من دين ركبه فقال داء طالما وقد الكرام ❊
وقال عبد الملك بن صالح ما استرق الشريف مالك افظع من الدين ومن
احسن ما جاء في هذا الباب

اذا استثقلت او ابغضت خلقا ... فسرك بعده حتى التناد
فشده بقرض درهمات ... فان القرض داعية الفساد

وقال ابن المعتز كثرة الدين تصير الصادق كاذبا والمنجز مخلفا ❊

مدح الشباب ٦٦

في الخبر المرفوع اوصيكم بالشباب
خيرا فانهم ارق افئدة ان الله بعثني بشيرا ونذيرا فحالفني الشباب
وخالفني الشيوخ ثم قرأ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ❊ وكان
عطاء الخراساني يقول الحوائج الى الشباب اسهل منها الى الشيوخ الم تر
الى يوسف عليه السلم قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وقال ابوهم سوف استغفر لكم ربي ❊ وقال الصولي في كتاب فضل

الشباب على الشيب الذي ألفه المقتدر أن السن لا يقدم مؤخرا ولا
يؤخر متقدما بل ربما عدل بجلائل الأمور ومهمات الخطوب عن المشائخ إلى
الشبان لاستقبال أيامهم وفرط حركاتهم وحدة أذهانهم وتيقظ
طباعهم ولأنهم على ابتناء المجد أحرص وإليه أصب وأحوج وقد أخبر الله
تعالى أنه آتى يحيى بن زكريا عليهما السلم الحكم في سن الصبي فقال يا يحيى
خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وقد ذكر الله الفتية في غير
موضع من كتابه فقال تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف وقال عز ذكره
وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقال تعالى وإذ قال موسى
لفتيه وعن ابن عباس أنه قال ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا شابا
ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يقال له إبراهيم وقال مؤلف الكتاب قال الجاحظ في قول أبي
العتاهية إن الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب
معنى لمعنى الطرب الذي تشهد بصحته القلوب وتعجز عن صفته الألسنة
وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله
كما أن أطيب الثمار بواكيرها ومن أحسن ما قال الشعراء في مدح الشباب

والتأسف عليه قول محمد بن حازم الباهلي
لجين صبرن بحل الدمع ينهمل فقد الشباب بيوم المرء متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل
ولما أنشد منصور النمري الرشيد قوله
ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
بكى الرشيد حتى أخضل لحيته وقال يا نمري وما خير دنيا لا يخطر فيها
برد شباب ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول الشاعر
لا تلح من يبكي شبيبته إلا إذا لم يبكها بدم
لسنا نراها حق رؤيتها إلا أوان الشيب والهرم
ولرب شيء لا يبينه وجدانه إلا مع العدم
كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تغشى الأرض بالظلم وقوله في تشبيب
أيا برد الشباب لكنت عندي من الحسنات والقسم الرغاب
لبستك نزهة لبس ابتذال على علي بفضلك في الثياب

ولو كنت صونك فاعلمه لصنتك في الحريز من العياب
ولم أبتذلك لا يوم فخر ويوم زيارة الملك اللباب

ذم الشباب — الشباب مطية الجهل ومطية
الذنوب قال النابغة الذبياني
فإن يك عامر قد قال جهلا فإن مطية الجهل الشباب وقال العتبي
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر
وكان يقال سكر الشباب أشد من سكر الشراب وقال ابن المعتز
جهل الشباب معذور وعلمه محقور وكان يقال نزقات الشباب
نزعات الشيطان وقال أبو الطيب محمد بن حازم المصعبي
رأيت الشباب في حتف الله ولا تترح غداة استقلا
زائر لم يزل مقيما إلى أن سود الصحف بالذنوب وولى

مدح الشيب ٦٧ — في الخبر أن الله تعالى يقول الشيب
نوري وأنا أستحي أن أحرق نوري بناري وكان يقال الشيب
حلية العقل وسمة الوقار وقال دعبل
أهلا وسهلا بالمشيب فإنه سمة العفيف وهيبة المتحرج

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي
والشيب إن يحلل فإن وراءه عمرا يكون خلاله متنفس
لم ينتقص مني المشيب قلامة ولنحن حين بدا ألذ وأكيس
والبيت أول من قول أم الهيثم وبعد المشيب طول عمر وملبسا
وكان يقال الشيب زبدة مخضتها الأيام وفضة سبكتها التجارب
وقال بعض الحكماء إذا شاب العقل سرى في طريق الرشد مصلح
الشيب ووصف بعض البلغاء رجلا شاب وأغوى عن تجاهل
الشباب فقال ذاك قد عصى شياطين الشباب وأطاع ملائكة
الشيب وقال علي بن أبي طالب رأي الشيخ خير من مشهد الغلام
وقال ابن المعتز عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك وارحم الصغير
فإنه أغر بالدنيا منك وكان يقال الشيخ يقول عن عيان والشاب
عن سماع وقال أبو تمام
ولا يروعك إيماض المشيب به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب
وقال أبو الشمط
إن المشيب رداء العقل والأدب كما الشباب رداء اللهو والطرب

وقال دعبل

أحبّ الشيب لما قيل ضيفٌ لحبّي للضيوف النازلينا

وقال البحتري

وبياض البازي أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

وقال أيضاً

عذلتنا في عشقها أمّ عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

ورأت لمّة ألمّ بها الشيب فريعت من ظلمة في شروق

ولعمري لولا الأقاحي لأبصرت أنيق الرياض غير أنيق

وسواد العيون لو لم يُملّح ببياض ما كان بالموموق

أيّ ليل يبهى بغير نجوم وسحاب يندى بغير بروق

وقال ابن الرومي

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يُرى النَّور في القضيب الرطيب

فصل للبديع الهمذاني في مدح الشيب وذم الشباب جزى الله المشيب خيراً فإنه أناة ولا ردّ الشباب فإنه هنات وبين الداء الصبي وليس دواؤه إلا انقضاؤه وبئس المثل النار إلا العار ونعم الرابضان الليل والنهار وأظن الشباب والشيب لو مثّلا لمثّل الأول كلباً عقوراً والآخر شيخاً وقوراً ولاشتعل الأول ناراً

واشتعل الآخر نوراً فالحمد لله الذي بيّض القار وسمّاه الوقار عسى أيها السيد أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد إن السعيد من ابيضّت جلدته ولم يحفل ببياض لحيته

ذمّ الشيب

عبيد الله بن طاهر الشيب شين لمن يشيب قيس بن عاصم الشيب خطام المنية أكثم بن صيفي الشيب عنوان الموت الحجاج الشيب بريد الآخرة مالك بن أنس الشيب هوام الموت العتبي الشيب مجمع الأمراض العتابي الشيب نذير المنية ابن عائشة الشيب قناع الموت يونس النحوي الشيب وكل عيب ابن شكلة الشيب شر الحمام محمود الوراق الشيب أحد الموتين ابن المعتز الشيب أول مواعيد الفناء أبو الناجح الشيب ناعي الشباب ورسول البلاء وغيره الشيب عنوان الفساد آخر الشيب قذى عين الشباب آخر الشيب غمام قطره الغموم آخر الموت ساحل الحياة والشيب سفينة تقرب إلى الساحل ومن أحسن ما قيل في ذم الشيب على كثرته قول أبي تمام

غدا الشيب مختطاً بفوديّ خطة طريق الردى منها إلى النفس مهيع

هو الزور يخفى والمعاشر يجتوى وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

تضاحكت لما رأت شيبا تلألأ عن عرمه [?]
قلت لها لا تعجبي أنبئك عندي خبره
هذا غمام للردى ودمع عيني مطره

وقول الآخر

من شاب قد مات وهو حي يمشي على الأرض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابا لكان في شيبه فذلك

مدح الخضاب ٦٨ كان يقال الخضاب أحد الشبابين
وقيل الخضاب تذكرة الشباب ومن أحسن ما قيل فيه قول الشاعر
الشيب موت ولكن في إماتته محيا لبانات قليلات وأيام وقال آخر
للصبا أن تغرى [?] ويعرف حقه والشيب ضيفك فاقره بخضاب
وقال ابن المعتز وقالوا النصول مشيب جديد فقلت الخضاب شباب جديد
إساءة هذا بإحسان ذا فإن عاد هذا فهذا يعود

وأحسن ما قيل في هذا الباب قول عبدان الأصفهاني
في شيبي شماتة لعداتي وهو ناع منغص لحياتي
ويعيب الخضاب قوم وفيه لي أنس إلى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر مني ما به رمت خلة الغانيات
إنما رمت أن يغيب عني ما تريني كل يوم مراتي
وهو ناع إلى نفسي ومن ذا سره أن يرى وجوه النعاة

ذم الخضاب من أحسن ما قيل في ذلك نثرا
قول ابن المعتز الخضاب من شهود الزور وقال بعضهم الخضاب
حداد الشباب وقال آخر الخضاب كفن الشيب

وقال محمود الوراق

يا خاضب الشيب الذي في كل ثالثة يعود
إن النصول إذا بدا فكأنه شيب جديد
وله بديهة روعة [?] مكروهها أبدا عتيد وقال آخر
يا خاضب الشيب بالحناء تستره سل المليك له سترا من النار

وقال أبو الطيب المتنبي

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعر في الوجه مكذوب

مدح المرض

حدث الصولي عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يصف لي الفضل بن سهل وتقدمه ويصف علمه وكرمه فكان مما حدثني به أن قال برأ الفضل من علة كان وجدها فجلس للناس فهنأوه بالعافية فلما فرغوا من كلامهم قال لهم أن في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجحدوها منها تمحيص للذنوب وتعرض لثواب الصبر وإيقاظ من الغفلة وادكار بالنعمة في حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة وفي قضاء الله وقدره من بعد الخيرة فحفظ الناس كلامه ونسوا ما قال غيره ◦ وكان يقال من لم يذق ألم السقم لم يجد حلاوة الصحة ◦ وفي الخبر أن المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته أمه ◦ وفي خبر آخر أن المريض لتتساقط خطاياه كما تتساقط الورق من الشجر في الخريف ◦ وكان طاووس يقول دعاء المريض مستجاب أما سمعتم قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء والمريض مضطر جدا ◦ وفي الخبر حمى ليلة كفارة سنة

وقال بعض الحكماء البلغاء رب مرض يكون تمحيصا لا تنغيصا وتذكيرا لا نكيرا وأدبا لا غضبا ◦ وقال ابن المعتز قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد أتاني عائد يخبر عن حالي فقال لي كيف أنت أراني إن قلت أنا في عافية كاذبا فقال له قل كما قال بعض الصالحين إذا أعلك الله في جسمك فقد أصحك من ذنوبك

ذم المرض

كان يقال الصحة تشبه الشباب والسقم يشبه الهرم ◦ وقال بعض الصالحين لا صديق أرفق من الصحة ولا عدو أعدى من المرض ◦ وقال آخر شيئان لا يعرفان إلا بعد ذهابهما الصحة والشباب ◦ وقال آخر إن كان شيء فوق الموت فالمرض وإن كان شيء مثله فالفقر وإن كان شيء فوق الحياة فالصحة وإن كان شيء مثلها فالغنى ◦ وقال ابن المعتز المرض حبس البدن كما أن الهم حبس الروح

وقال بشار بن برد

إني وإن كان جمع المال يعجبني لا يعدل المال عندي صحة الجسد
في المال زين وفي الأولاد مكرمة والسقم ينسيك ذكر المال والولد

وقال آخر

لا تشكون دهرا صححت به إن الغنى في صحة الجسم
هبك الإمام أكنت منتفعا بلذاذة الدنيا مع السقم

وقال المتنبي آلة العيش صحة وشباب فإذا وليا عن المرء ولى

مدح الموت في الحديث للمؤمن الموت راحة

وقال بعض السلف ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحيوة لأنه إن كان محسنا فالله يقول وما عند الله خير وأبقى وإن كان مسيئا فالله يقول إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وعن سهل بن زياد قال بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه بين يدي ربه وسألته إياه الموت فقلت له يا أمير المؤمنين لم تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا وأحييت سننا وأمت بدعا وفعلت وفعلت وفي بقائك كل خير وراحة للمسلمين فقال لي ألا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له أمره قال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين فما دار علينا الأسبوع حتى مات وقال بعض الفلاسفة لا يستكمل الإنسان حد الإنسانية حتى يموت لأن الإنسان حي ناطق ميت وقال آخر الصالح إذا مات استراح

والطالح إذا مات استريح منه وقال آخر حب الموت حيوة وقال الشاعر وما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وفي الحديث المرفوع قال موتوا قبل أن تموتوا

وقال آخر

جزى الله عنا الموت خيرا فإنه أبر بنا من كل بر وأرأف
يعجل تخليص النفوس من الأذى ويدني من الدار التي هي أشرف

وقال منصور الفقيه

قد قلت إذ مدحوا الحيوة وأسرفوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب

من كان يرجو أن يعيش فإنني أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وقال المتنبي ألف هذا الهواء أوقع في الأنفس أن الحمام مر المذاق

وقال ابن لنكك البصري

نحن والله في زمان مشوم لو رأيناه في المنام فزعنا
أصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم أن يهنا

ذم الموت في الحديث المرفوع أذكروا هادم اللذات

أي أكثروا ذكره وقال الشاعر

يا موت ما أجفاك من نازل تنزل بالمرء على رغمه

تستلب العذراء من خدرها وتأخذ الواحد من أمه وقال عبيد بن الأبرص

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها هلك خبره ٥ وقال بعضهم للناس في الدنيا أغراض تنتضل فيها سهام المنايا ٥ وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل إليك وعمرك بقدر سيره نحوك ٥ وقال بعض السلف الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده ٥ ونظر الحسن بن علي إلى ميت يدفن فقال إن شيئا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وإن شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله وقال أبو الطيب المتنبي

إذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت أن الموت ضرب من القتل

وما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وقال أيضا نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

تموت راعي الضأن في جهله موتة جالينوس في طبه

١١

وقال ابن المعتز كان من غاب لم يشهد وكان من مات لم يولد ٥ وقال أيضا الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه

مدح السواد ٧١ أحسن ما قيل في ذلك قول أبي يوسف القاضي وقد جرى بين يدي الرشيد ذكر السواد يا أمير المؤمنين من فضل السواد أنه لم يكتب كتاب الله إلا به حتى كتاب الله ٥ وكان يقال النور في السواد يعني سواد الناظر ٥ وقد أكثر الشعراء في مدح السواد ووصف السود من أحاسنه قول أبي حفص في جارية له سوداء

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعده

لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحده ٥

وقول أبي محمد العباسي

أن سعدي والله يكلأ سعدي ملكت بالسواد رق سوادي

أشبهت ناظري وحبة قلبي فهي في العز ناظري وفؤادي

لن يرى الناظرون شيئا وإن رق حسنا إلا بنور السواد

وقال بعض الكتاب في غلام أسود

لو عشقت من البرية أسودا لا عشقت بأضعف الأسباب

فأجبتهم ما في البياض فضيلة ... وأرى السواد نهاية الطلاب
أهوى السواد لأن شيبي أبيض ... ردى الفتى وأحب لون شبابي
وكذاك في الكافور برد قاطع ... والمسك أصبح غاية الإطياب
وبه تزين كف كل خريدة ... وبه تتم صناعة الكتاب
والله ألبس آل بيت محمد ... لولا السواد فكيف عند عتابي

وجاء ابن الرومي فزاد عليهم وأحسن وأبدع في وصف سوداء وتملح بها

غصن من الأبنوس ركب في ... مؤتزر معجب ومنتطق
سوداء لم تنتسب إلى برص الشقر ... ولا المعيبين من البهق
أكسبها الحب أنها صبغت ... صبغة حب القلوب والحدق
فانصرفت نحوها الضمائر والأبصار ... يعتقن أيما عتق
ولبعض ما فضل السواد به ... والحق ذو سلم وذو نفق
أن لا يعيب السواد حلكته ... وقد يعاب البياض بالبهق

وقال بعض الظرفاء

يكون الخال في خد قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف بمن قد ... يراه كله في الوجه خالا

وقال ابن المعتز

يا مسكة العطار ... وخال وجه النهار

وقال الصابي في غلام أسود

لك وجه كأن يمناي خطته ... بلفظ تمله آمالي
فيه معنى من البدور ولكن ... نفضت صبغها عليه الليالي
لم يشنك السواد بل زدت حسنا ... إنما يلبس السواد الأوالي

ذم السواد

أحسن ما قيل في ذلك قول الأوزاعي لا يلبس فيه محرم ولا يكفن به ميت ولا يجلى فيه عروس وقال الماهاني لصديق له لم أولعت بالسواد فقال لأنه أسخن فقال الماهاني للعين وقال أحمد بن أبي الطيب السرخسي من معايب السودان أنهم لا يظهر فيهم أثر الحيا والخجل وقال أبو حنش

رأيت أبا الحجناء في الناس جائرا ... ولون أبي الحجناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده ... وإن كان مظلوما له وجه ظالم

ومن أبلغ ما سمعت في هجاء أسود قول اللحام

يكون للدرابين وجها كأنما ... كساه أها بابن قشور الخنافس

وقد أحسن كشاجم في قوله لرجل أسود جائر

يا مشبها في فعله لونه ... لم تعد ما أوجبت القسمة
خلقك من خالقك مستخرج ... والظلم مشتق من الظلمة

مدح الغوغاء والسفهاء في الخبر المرفوع أن الله ينصر هذا
الدين بأقوام لا خلاق لهم ه وكان الأحنف بن قيس يقول أكرموا سفهاءكم
فإنهم يكفونكم النار والعار ه وذكر جعفر بن محمد الغوغاء فقال إنهم
ليطفئون الحريق وينقذون الغريق ويسدون البثوق ه وكان
الشافعي يقول لا بد للفقيه من سفيه يناضل عنه ويحامي عليه ه
وكان سعيد بن سلم يقول ينبغي للرئيس أن يجتهد في ارتباط السفهاء من
الغوغاء **وقال الشاعر**

وإني لأستبقي امرأ السوء عدة لعدوة عريض من القوم جانب
أخاف كلاب الأبعدين وهرشها إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

ذم الغوغاء والسفهاء ذكروا عند واصل بن عطاء فقال ما اجتمعوا
قط إلا ضروا وما تفرقوا إلا نفعوا فقيل له قد عرفنا مضرة
الاجتماع فما منفعة الافتراق قال يرجع الحائك إلى حياكته والطيان
إلى تطيينه والفلاح إلى فلاحته وكل ذلك من مرافق المسلمين ومعاون
المحتاجين ه وقال الجاحظ الغاغة والباعة والأعسا والسفها
كلهم أعداد عام واحد وهم في بواطنهم أشد تشابها من التوائم

في ظواهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعتزام والتتبع وفي
الأثمان والبلدان ه وقد ذكر الله رذل قريش ومردة العرب على النبي
صلى الله عليه فذكر ألفاظهم وحكى معانيهم ومقادير هممهم التي كانت
دون ما يكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم فقال تشابهت قلوبهم وقال
ما استمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم
كالذي خاضوا ومثل هذا كثير ألا ترى أنك لا تجد في كل بلدة وكل
عصر حاكة إلا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخف والخمول
والغباوة والظلم وكذلك النخاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون
ويشترون وكذلك الحمامون والقلاسون على مثال واحد ه وكل
حجام في الأرض فهو شديد الحرص على شرب النبيذ وإن اختلفوا في البلدان
والأجناس والأسنان ه وكان المأمون يقول كل شر وضر في الدنيا
إنما هو صادر عن العامة والغاغة فإنهم قتلة الأنبياء والأولياء
والأوصياء وهم المغرون بين العلماء والنمامون بين الأوداء والساعون
إلى السلاطين ومنهم اللصوص والزراق والقطاع والطرارون
والجلادون ومثيروا الفتن والمغيرون على الأموال ه فإذا كان يوم

القيامة حرّوا على عاداتهم في الشعاية فقالوا ما حكى الله عنهم ربنا
أطعنا سادتنا وكبرائنا وأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من
العذاب والعنهم لعنا كبيرا

مدح العمى ٧٣

قال الله تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وقيل لقمان ما بال العميان أذكى والبن من البصراء فقال لأن
أبصارهم تحولت إلى قلوبهم ٥ وقال الجاحظ العميان أحفظ وأذكى
وأذهانهم أقوى وأصفى لأنهم غير مشتغلين الأفكار بتمييز الأشخاص
ومع النظر تتشعب الهمم ومع اطباق العين اجتماع اللب
ولذلك قال بشار عميت جنينا والذكاء من العمى وقال ابن عباس

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي خطل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقال رجل لبشار ما سلب الله امرأ كريمتيه إلا عوضه عنهما
ما الذي عوضك عن عينيك قال فقد النظر إلى البغيض مثلك ٥ وقال
يعقوب الحرمي من فضائل العمى اجتماع الرأي والذهن ووقوع الكبر
والحفظ وسقوط الواجب من الحقوق والأمان من فضول النظر

الداعية إلى الذنوب وفقد رؤية الثقلاء والبغضاء وحسن
العوض عن رجاء الأجر في دار الثواب وقال منصور الفقيه

يا معرضا إذ رآني لما رأى ضريرا
كم قد رأيت بصيرا أعمى وأعمى بصيرا
قل لي وإن أنت أنصفت قلت خلقا كثيرا

ذم العمى

أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر

كيف يرجو الحياء منه صديق ومكان الحياء منه خراب

قال الجاحظ سمعت ضريرا بباب الكرخ يقول أحمد الله ذا الزمانتين
فقلت له أما إحدى الزمانتين فالعمى فما الأخرى قال عدم الصوت
أما سمعت قول الشاعر

أشان إذا عدا لخير منها الموت ٥ وفقيره ما لديه فأعمى ما له صوت

وقال بعضهم رأيت أعمى قال في مجلس يا قوم ما أوجع فقد البصر
فقال من بينهم أعور من العمى عندي نصف الخبر
وقال منصور الفقيه

جعلت ابلاد دليلي عليك لأني أنا مثل الجدار
وصار نهاري وليلي سوا وقد كان ليلي مثل النهار

مدح الحبس أحسن ما قيل في ذلك قول علي بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهند لا يغمد

أوما رأيت الليث يألف غيله كبرا وأوباش السباع تردد

والبدر يدركه السرار فتنجلي أيامه فكأنه متجدد

ولكل حال معقب ولربما أجلى لك المكروه عما يحمد

والحبس ما لم تغشه لدنية شنعاء نعم المنزل المتورد

بيت يجدد للكريم محله ويزار فيه ولا يزور ويحمد

وأحسن ما قيل في تسلية المحبوس قول البحتري

أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوسا على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في السجن برهة فآض به الصبر الجميل إلى الملك

وقول أبي الفتح البستي

فديتك يا روح المكارم والعلى وبهجتها عندي من الروح والنفس

حبست ومن بعد الكسوف تبلج تضيء به الآفاق للبدر والشمس

فلا تعتقد للحبس هما ووحشة فأول كون المرء في أضيق الحبس

وأحسن ما قيل في الاستهانة بالحبس وعقوبة السلطان قول بعض الأعراب

وما الحبس إلا ظل بيت سكنته وما السوط إلا جلدة وافقت جلدا

ذم الحبس كتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء وقبور الأحياء وكتب بعض المحبوسين إلى صديق له كتبت إليك من دار لنا ولا مهتهنا ولا مكرما آباها وليست يوقف على ولا ت ضيفا ولا زائرا لها وقال بعضهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ولسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا نحن أصبحنا فجل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث من الرؤيا

إذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جا هذا من الدنيا

وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي وهو في حبس الرشيد

ومحلة شمل المكارم أهلها وتقلدوا مشنوءة الأسماء

دار يهاب بها اللئام وتتقى وتقل فيها هيبة الكرماء

وتقول علج ما أراد ولا ترى حرا يقول لرقبة وحياء

ويرق عن مس الملامة وجهه فيصونه بالصمت والإغضاء

ويلج عن حمق ونجاح قد أخرى من غير إشكال ولا إخفاء

مدح النعيم أحسن وأجمع ما سمعت وقرأت في

ذلك قول أبي زيد البلخي في رسالة له كتبها وقد عتب بأنه معلم فقال
فيها وليس يستغني أحد عن التعليم والتعلم لأن الحاجة تضطر إليهما في
جميع الديانات والصناعات والآداب والأنساب والمذاهب والمكاتب
فما يستغني كاتب ولا حاسب ولا صانع ولا بائع ولا أحد في كل كتب
ومذهب عن أن يتعلم صناعته ممن هو أعلم منه ويعلمها من هو أجهل منه
وقوام الخلق بالتعلم والتعليم فالمعلم أفضل من المتعلم لأن صفة المعلم
دالة على التمام والإفادة والمتعلم صفته دالة على النقصان والاستفادة
وحسبك جلالاً من رجل يعمد إلى فعل قد وصف به الخالق نفسه
ثم رسوله عليه السلم فيتلقاه أليس قد قال الله تعالى وعلم آدم الأسماء
كلها وقال وعلمناه من لدنا علما وقال في وصف نبيه عليه السلم
ويعلمهم الكتاب والحكمة

ذم التعليم

أحسن ما سمعت في ذم معلم قول الشاعر

وكيف يرجى العقل والحلم عند من يروح إلى أنثى ويغدو إلى طفل

وللحجاج حين كتب بها إلى عبد الملك بن مروان

فما كنت برا أجليس قواعد ولا كتبا يغدو ومنيته طفل

وقال آخر يهجو معلما معلم صبيان وحامل حيرة وليس له عقل بمثقال ذرة

وقال الحمدوني

معلم صبيان يروح ويغتدي على أنفس ألوان زنج فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم ورفعهم أصواتهم في هجائهم
ويستخدم الغلمان ثم ينيكهم ويتلهم جوعا بأكل غذائهم

وقال آخر

إن المعلم حيث كان معلما ولو أنتنا فوق السماء بناء
لو كان علم ساعة من دهره أو كان علم آدم الأسماء
من علم الصبيان أصبوا عقله حتى بني الخلفاء أو خلفاء

قال الجاحظ عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك
وسمر معلم في النظارة إلى بعض الحروب فأصابت رأسه نشابة وبقيت فيه
فلما أريد نزعها منه قال الحائك له ارفقوا لا تصيبن دماغه فقال انزعوها
كيف شئتم فلو كان لي دماغ لما خرجت في النظارة إلى الحرب وقيل
لمعلم ابن معلم لا تكن أحمق قال حمقي موروث

مدح الرقيب ٧٦

قال بعض الظرفاء أتى أودى بشكر
الرقيب وهو يحفظ حبيبي ومن هو من الدنيا نصيبي كما يمنعه مني يمنعه

من غيري ۝ وأحسن ما قيل في الرقيب **قول الشاعر** ۝

موقف للرقيب أنساه لست أنساه ولا أنساه
مرحبا بالرقيب من غير وعد جاء يجلو علي من أهواه
لا أحب الرقيب إلا لأني لا أرى من أحب حتى أراه

وكان عبد الله بن المعذل يقول مرحبا بالرقيب فإنه يأتي بالحبيب

ذم الرقيب المثل أثقل من رقيب بين الحبيبين ومن
لزوم طالب الدين ۝ وقد جرى المثل بثقل الرقيب وحسن موقع فقده
أحسن ما قيل في ذمه **قول ابن الرومي**

ما بالها قد حسنت ورقيبها أبدا قبيح قبح الرقباء ۝
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبدا يكون رقيبها الحرباء

أبجرباء دويبة لا ترى إلا في الشمس تدور معها كيف ما دارت

مدح لا أحسن ما قيل في ذلك نثرا قول بعض
العلماء من فضلها أنها افتتاح كلمة التوحيد يعني لا إله إلا الله ۝
ومن أحسن ما قيل فيها نظما **قول الشاعر**

أجمع الناس على ذم لا غيري فأي موجب حق لا

وذاك أني قلت يوما لمن تحب غيري سيدي قال لا

وكان الكندي يقول قول لا يدفع البلاء وقول نعم يزيل النعم **وقال سليمن**
بن عبد الله بن طاهر في كل شيء شرف بكره حتى في الكرم
وربما ألفي لا أفضل من ألف نعم

ذم لا أحسن ما قيل في ذلك **قول الشاعر**

لعن الله لا ولا خلقت خلقتها أعلم ۝ أنها تقبض الجميل وتأتي على الكرم

وذكر رجل عند ابن حنيفة فقال كأنه مشجب من حيث أتيته فهو لا ۝

مدح اليمين ادعى رجل على داود بن علي الأصبهاني
مالا في مجلس إسمعيل بن إسحق القاضي فأنكره وحلف له فقال القاضي يا أبا
سليمن أنت مع محلك من العلم تحلف في مثل هذا المجلس فقال نعم إن اليمين
الماذا قد نبأ على الله عند ذكره وإنما فعلت ما أمر الله به ورسوله فقال
وما هو فقال أليس الله تعالى يقول لنبيه عليه السلم ويستنبئونك أحق
هو قل إي وربي إنه لحق ويقول سبحانه زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا
قل بلى وربي لتبعثن ۝ ويقول عز من قائل وقال الذين كفروا لا تأتينا
الساعة قل بلى وربي لتأتينكم فقال القاضي قم فما أرى أن أحدا أحطك

وقال ابن الرومي

وإني لذو حلف كاذب إذا ما اضطررت وفي الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

وكان أبو حنيفة رحمه الله يقول إذا ابتليت بالسلطان فرق أيمانك باليمين
وترقعها بالاستغفار فإن الله تعالى يقول لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

ذم اليمين

قال الله تعالى ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ۞ وقال النبي عليه السلام
اليمين الغموس تدع الديار من أهلها بلاقع أي تفنيهم ۞ وقال بعض السلف
دع اليمين لله إجلالا وللناس إجمالا ۞ وقال ابن المعتز علامة الكذاب
جوده باليمين من غير مستحلف ۞ وقال غيره كلام الجاهل كله حلف وكلام
الغافل كله مثل ۞ وقيل لو لم يكن في اليمين إلا أنه يغضب صاحبه وبغضه
إلى الناس ولو كان فيه صادقا لكفى

مدح شهر رمضان ٧٩

في الحديث المرفوع إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب
النار وصفدت الشياطين ۞ وكان النبي عليه السلام يبشر أصحابه بمجيء
شهر رمضان ويقول قد جاءكم الشهر المبارك التي فيه الليلة التي هي خير من ألف

شهر ولله في كل ليلة من ليالي شهر رمضان ستمائة ألف عتيق من النار وله
في آخر ليلة منها مثل ما أعتق في جميع الشهر ۞ وقال بعض الزهاد

أن شهر الصيام سباق إلى رضى المعبود

أخطارها جنان الخلود

وقال آخر وهو أبدع ما قيل فيه

شهر الصيام مشاكل الحمام فيه طهور جوامع الآثام

فاطهر به واجهد بعشرك إنما شهر المصانع مصرع الحمام

وقال أبو جعفر محمد بن موسى الرازي

مضى رمضان المطهر الدين فقده وأقبل شوال شؤول به قسرا

فيا لك شهرا شهر الله قدره لقد شهرت فيه سيوف الورى شهرا

وقال الناجم

قد تعدوا على الصيام وقالوا حرم الصب فيه حسن العوائد

كذبوا في الصيام للمرء مهما كان مستيقظا أتم الفوائد

موقف بالنهار غير مريب واجتماع بالليل عند المساجد

ذم شهر رمضان وما قيل في خلافه

كتب أبو النجم إلى ابن كرم في سلخ شعبان

كنت ايدك في آخر يوم من ايام الدنيا بادبار شعبان وأول يوم من ايام
الآخرة باقبال رمضان ⁂ وقال بعض المجان شهر رمضان يمحى به من دين
يعني شعبان وشوال وقال البحتري

قل لهذا الشهر المبارك حتى
أصحيح قد ادعى الشتم
وخير من السلامة عندي للفتى علة تحل الحراما ⁂

وقال ابن الرومي

شهر الصيام وإن عظمت حرمته شهر طويل ثقيل الظل والحركه
كأنه طالب ثأرا على فرس أجد في إثر مطلوب على رمكه
يمشي رويدا فأما حين يطلبنا فلا السليك يدانيه ولا السلكه
شهر كأن وقوعي فيه من قلقي وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه
يا صوم من قال أيام مباركة إن كان يحلف عن أيام النقل بالبركه
أذمه عند وقت فيه أحمده وقت العشاء إلى أن تصبح الديكه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له لكان مولى [illegible] الملكه

وقال أيضا

كتابخانه ... مجلس شورای ملی ١٣٠٢

إذا باركت في صوم لقوم دعوت لهم بتطويل العذاب
وما التبريك في شهر طويل يطاول يومه يوم الحساب
فلا أهلا بمانع كل خير وأهلا بالطعام وبالشراب ⁂

وقال آخر

ألغوث من شهر الصيام قد صار لي مثل اللجام
ما إن أمتع بالطعام وبالندامة والمدام

تم الكتاب المؤلف في الظرائف واللطائف في الأضداد تأليف أبي
منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبي رحمه الله وبرد مضجعه ونور
ضريحه فلقد أجاده جمعا وتأليفا ⁂ وعلقه العبد الراجي رحمه الله تعالى
ورضوانه يوسف بن نعمان لنفسه من نسخة كانت لمولاه ومالك رقه ومخدومه
الملك المعظم والمولى المكرم ناصر الدنيا والدين عمر أعز الله نصره ولد المولى السلطان
الأعظم الشهيد نجم الدين غازي أطاب الله ثراه وكان فراغ تعليقه خامس عشر
ربيع الآخر سنة لو عشر وسبعمائة هجرية
والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا

٢٢٢

گر بیمرد ز فراقت روی چون [illegible] حبیب اح عینی حزنکای راح روحی یا حبیب

چون زمانی کو یار بر آکد عاشقی روز صبر کن
مان قلبی عن وصالک کیف اصبر یا حبیب

عشق تو در جان چون آتش [illegible]
طول لیلی [illegible] قوتی مثل عودک یا حبیب

تشنه لعل تو ام آب حیاتم کی دهی
اسقنی در کاس وصلک شربة وصلک یا حبیب

در دو عالم کس ندارم جز تو یاری غم گسار انت عینی انت قلبی
سعدی اندر آرزوی یار [illegible] دیوانه شد
فی حیاتی فی مماتی لیس غیرک لی حبیب

نام کتاب	الظرائف و اللطائف [illegible]	۱۶/۸
مؤلف	عبدالملک بن محمد بن [illegible] الثعالبی	
تاریخ کتابت	۷۲۲ هجری قمری	
تاریخ تألیف	سده پنجم	
کاتب	یوسف بن [illegible]	
مشخصات و تزئینات		
		۳۱۳ - ط

کتابخانه مجلس شورای ملی